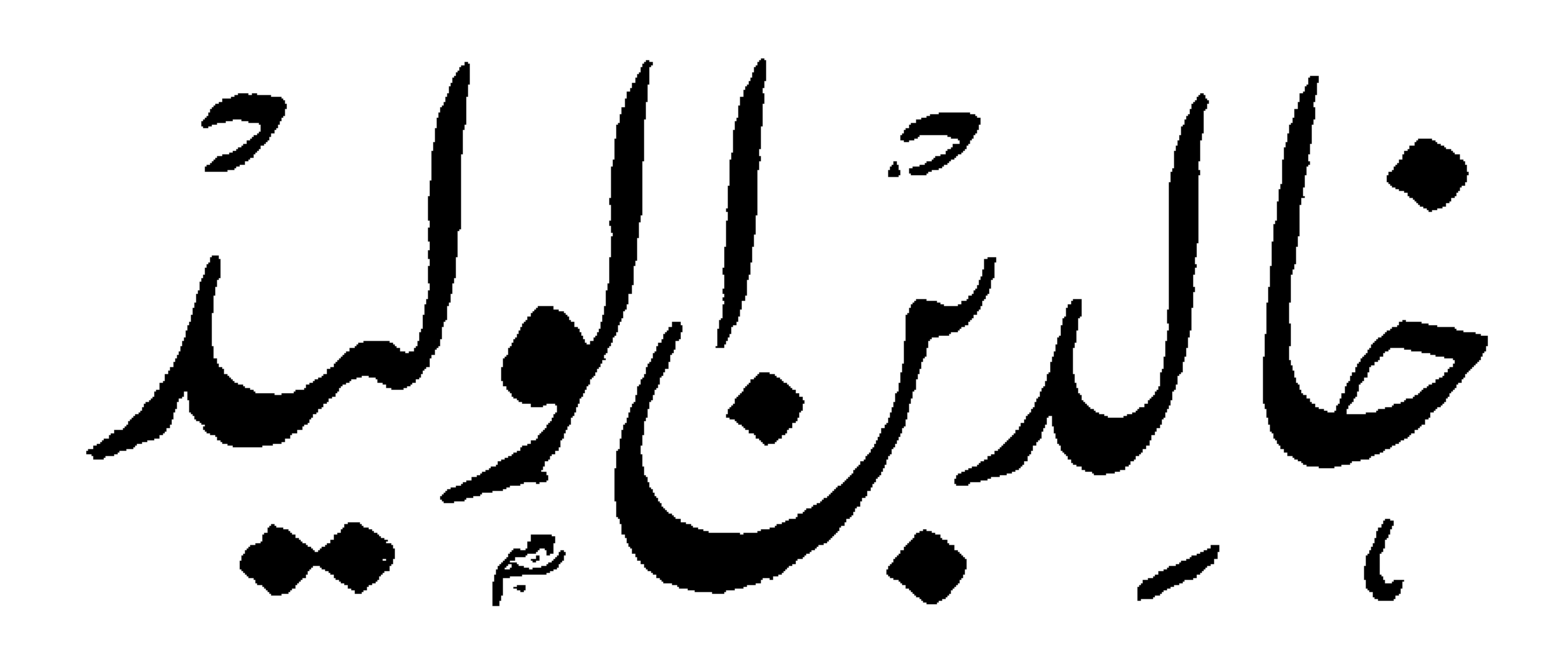
عامر محمد بحيرى

خالد بن الوليد

مسرحية شعرية فى خمسة فصول

مكتبة مصر ومطبعتها
٦٣ شارع الفجالة مصر

عامر محمد بحيرى



مسرحية شعرية فى خمسة فصول

يطلب من

مكتبة مصر ومطبعتها
٦٣ شارع الفجالة مصر

مطبعة مكتبة مصر

إهداء

إلى سرّ الوحدة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

— ١ —

تعالج هذه الرواية سيرة بطل إسلامى عظيم ، وتحلل عصراً إسلامياً عظيماً ، هو صدر الإسلام الأول ، حيث الحروب ناشبة ، والجيوش متطاحنة ، والفتوح عظيمة متتابعة . كان خالد بن الوليد شاباً مخزوميا عظيم الجرأة والشجاعة . وكان فى جاهليته كعمر بن الخطاب ، معتزاً بشخصيته ، فلم يدخل فى الإسلام إلا بعد جدال وحرب كما فعل عمر ، ولكن تجربة خالد كانت أقسى على نفسه وعلى المسلمين جميعاً ، فهو الذى كشف عن صفوفهم فى أُحُد ، والتف حول الجبل فى حركة حربية فنية . وقد كان وهو ما يزال فى الخامسة والعشرين من عمره أميراً على خَيْل المشركين . فرمى رماة المسلمين . وأوقع الخلل بين صفوفهم ، وألقى فى قلوبهم الذُّعر حتى تسبب فى هزيمتهم وما حاق بهم يومئذ من الشدائد .

ولكن الله هدى خالداً ، كما هدى عمر بن الخطاب من قبل ، فأسلم ، وكان سيفَ الله المسلول على أعداء الإسلام ، فهو الذى حارب المرتدين أيام أبى بكر ، فكان أقطع سيف سلَّه خليفة رسول الله على أولئك الخارجين ، ثم أرسله أبو بكر إلى العراق وفارس ، فكان من أمره العظيم فى تلك الأصقاع ما كان ، ثم احتاجت جيوش المسلمين فى الشام إلى مدد ، فأرسله أبو بكر مدداً لأهل الشام ، حتى إذا كان على وقعة اليرموك ، وقد

جمع خالدٌ المسلمين على قائد واحد ، وتولى بنفسه قيادتهم ذلك اليوم . وقاربت أن تنجلي المعركة عن انتصار ، جاء بريد من المدينة بموت أبي بكر وتولية عمر ، وعزل خالد وتولية أبي عبيدة . . . .

والخصومة التي وقعت بين خالد وعمر من قبل ، والتي أدت إلى هذه النتيجة ، والتي يشيع خبرها في الرواية ، من أعظم الدروس التي يستخلصها المطلع على خبر هذه الحقبة من التاريخ . وسير أولئك الأبطال ، وهي تعطي الرواية فناً تمثيلياً جليل الشأن ، ولا تزال بخالد بعد أن بلغ الأوج ، ونال المجد ، حتى تستذله أمام أمير المؤمنين ، وتحطم من كبريائه ، وتقف به في صفوف المسلمين رجلا عادياً ، بعد أن كادت فتنة الجند به ، وتيمُّنهم بنقيبته أن تخرجا بهم عن الجادة .

فلقد يُرْوَى أن خالداً عند ما حارب المرتدين ، أوقع بمالك بن نويرة ، فقتل جنودُهُ مالكا ، واختلفوا في صيغة الأمر الذي صدر من خالد في هذا الشأن ، فقال قومٌ إن خالداً أمر بمدافأة الأسرى وكانت الليلة شاتية شديدة الزمهرير ، ولكن حارس مالك كان من كنانة ، والمدافأة في لغة كنانة هي القتل فما لبث أن أودى بحياته . . . وقال آخرون إن خالداً إنما قتله خطأً بعد أن أذَّن مؤذنه بالصلاة ، وحمل عمر على خالد من تلك اللحظة عند أبي بكر حملة قاسية ورماهُ واتهمه بأنه لم يلبث بعد قَتْل مالك أن تزوج بابنة المِنْهال امرأة مالك ، وكانت من العربيات المستملحات . . فما زال عمر يغري أبا بكر بالإيقاع بهذا الشاب الذي في سيفه رهق ، وفي تصرفه نزق . ولكن أبا بكر أبي أن يسمع منه في خالد . وقال له : لا يا عمر ! لم أكن لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين ! على أن أبا بكر ، وإن دافع عن خالد ونصره في كل مواقفه ، إلا أنه لم يقرّه على زواجه بابنة المنهال ، وعنفه في هذا التزويج الذي كانت تعيبه العرب . . .

فلما ولى عمر بن الخطاب أمر الخلافة ، بدأ أعماله فيها بعزل خالد من قيادة الجيش وهو على رأس المسلمين فى أكبر موقعة حربية بينهم وبين الروم ، وفقد خالد سلطانه الكبير بعد ذلك فلم يكن له إلا هذه المكانة التى اختصه بها أبو عبيدة عامر بن الجراح من تقريبه واستشارته فى كل مايتصل بحرب المسلمين بالشام ، ولم يزل خالدٌ سابقاً إلى الفضل فى مواضع كثيرة من أشهرها حصار المسلمين لدمشق ، ومصالحة أبى عبيدة لأهلها ودخوله من الباب الذى يليه صُلْحاً ، ومحاربة خالد ومجالدته ، وتخطيه السور وفتحه الباب الذى يليه ودخوله المدينة عنوةً وفتحاً . . . ولكن خالداً بعد ذلك يرضخ لتجربة من أقسى التجارب ، هى دعوة عمر له بالمدينة واتهامه ، وأمره أباعبيدة بعقد محاكمة له يشترك فيها بلالٌ مؤذن الرسول عليه السلام مشاركة عنيفة ، وينتهى الأمر باعتزال خالد الحياة السياسية والحربية وانزواؤه فى قِنَّسْرِين ثم فى حمص من أعمال الشام .

وفى هذه الأثناء تقع تجربة أخرى قاسية ، يجتازها خالد صابراً . هى ما بلغه من أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد فكر فى أمره ، وأن نيته متجهة إلى العفو عنه ، وردّ اعتباره . ويفكر خالدٌ فى ذلك فيجد عفو عمر معلقاً على شرط يُمِضُّه وينغص عليه عيشته . هو أن يعترف خالد بأنه اقترف بقتل مالك بن نويرة مأثماً ، واغتصب ابنة المنهال اغتصاباً . . . وتأخذ الحيرة خالداً ، فيستشير ، ويحسن اختيار من يودع سرَّهُ لديه فيختار أخته فاطمة بنت الوليد ، تلك الشخصية القوية التى يظهر أثرها فى توجيه الرواية ، بل فى توجيه حياة خالد ، إذ هو واقفٌ عند مفترق طريقين ، إذ تقول له فى اعتدادٍ وقوة : « لا توافق ، لا تعترف ! » فيسألها : « لماذا ؟ » فتجيب : « لم يبلغك ذاك إلا الكذوبُ ، هم يريدون الاعترافَ ، فإن ثَمَّ اعترافٌ فللحدود وجوبُ ! وإذا ثَمَّ الاعترافُ فعزلٌ ... كيف تُمحَى بالاعتراف الذنوب ؟ ! » .

وهكذا ينزل خالد على نُصْحِ أخته الشفيقة، فيأبى الاعتراف، ويظل رهين منفاه فى حمص حتى يلقى المنية فى سن مبكرة إذ كان على بعض الروايات لم يتجاوز السابعة والثلاثين من عمره.

فالرواية كما رواها الطبرىّ، وغيره من المؤرخين. مستكملة عناصرها الفنية أحسن استكمال ولا يبقى على المؤلف المسرحى إلا أن يرتب فصولها ومناظرها، وينظم حوارها، ويناسب بينه وبين أشخاصها، حتى يبرز للمتفرج هذه الشخصية وما عاش معها من شخصيات وكأنها شخصيات أحياء يعيشون بيننا، يمشون كما نمشى، ويتحدثون كما نتحدث....

— ٢ —

لماذا لا يُعالج هذا الموضوع معالجة مسرحية؟ أليس موضوعاً تاريخياً جليل الشأن؟ أليس خالد شخصية عربية إسلامية نفاخر بها الغربيين وقل أن ينجب الشرق والغرب أمثالها؟ وهل يحول تقليد إسلامىّ دون تمثيل هذه الشخصية للناس، بل تمثلها لعيون الناس، وهى التى نصرت الإسلام هذا النصر، ووسعت أطراف الرقعة الاسلامية ونشرت الثقافة العربية والحضارة العربية فى سائر البلاد؟ إن الرواية درس فى التاريخ كما هى درس فى الوطنية. وإن الأخلاق الاجتماعية الإسلامية التى يعرضها على الناس تمثيل رواية من روايات ذلك العصر لهى المُثُل العليا للأخلاق، وما أجدر الروايات التى نحن بصدد البحث عنها ترجمة أو تأليفاً أو اقتباساً لمسرحنا المصرى أن تكون مشتملة على المثل العليا فى الأخلاق الاجتماعية!

ولقد جلوت شخصية خالد بن الوليد لتمثيلها على المسرح، ولكنى عندما عرضت للشخصيات الأخرى المعاصرة وجدتنى بازاء مسألة شائكة لابد أن يقابلها من يعالج هذه الحقبة من التاريخ ليخرج منها مسرحية. تلك هى

وجوب الاحتفاظ لهذه الشخصيات الصحابية الجليلة بما هي أهل له من الفضل والوقار . فما من شك أن هناك شخصيات لا يجب ظهورها على المسرح إطلاقا ، توقيرا لها وإجلالا . وعندما نظمت هذه الرواية على صورتها الأولى عام ١٩٤٠ ، عقب نظرة عابرة فى الطبرى ، وجدت كلاماً جليلا لعمر ، ومواقف نبيلة لأبى بكر فنظمت ذلك . إلا أننى عند ما أعدت كتابة الرواية بعد ذلك بعام ، أنفت أن يظهر أبو بكر وعمر على المسرح أو أن يمثلا للناس ، وقد كان من جراء ذلك أن استفاد الفن المسرحى نفسه ، فإن شخصيتى هذين الخليفتين العظيمين قد ظهرتا فى الرواية أوضح ظهور ، وخصوصاً شخصية عمر ، بعد حذفهما والاستعاضة عن ظهورهما بالإشارة المناسبة . وإن حوادث الرواية لتقترب أشد الاقتراب حتى تقف بالناظر على باب مسجد الرسول صلوات الله عليه ، بالمدينة ، وأبو بكر وعمر فى داخله يحققان ما كان من قضية خالد واتهامه بمقتل مالك بن نويرة ، ولكن الحوادث لا تتعدى باب المسجد ، فلا يكاد يحس المتفرج إلا رهبة ناشئة عن اقترابه من مكان الخليفة العظيم ، تعظم باقترابه منه ، ولا تزول بمشاهدته إياه فى صورة الممثل !

على أن حذف هاتين الشخصيتين قد استتبع ترتيباً وتنظيما جديدين للحوار ، فكثير من الأحداث التاريخية ، والمقابلات الهامة قد وقع بين عمر وخالد ، وكثير من القول المتصل بالموضوع أشد الاتصال قد صدر عن عمر ، واتفق رواة التاريخ على نسبته إليه . ولكن عمر لا يظهر فى الرواية ، فلا بأس من أن تصدر أقواله ، أو ما فى معناها ، على لسان غيره من شخصيات الرواية . وذلك فى التنظيم المسرحى مقبول ، كما أنه فى واقع الحياة غير مردود . وإنما قبله التنظيم المسرحى كما قبل غيره من التصرف ، لأن المسرحية قطعة فنية حرة من الأدب يشكلها المؤلف كيف يشاء فلا تتقيد بالتاريخ ، وإذا هى

تقيدت به فلا تتزمت فى ذلك . ومن الأمثلة على ما نقول، هذا الحوار الذى يجرى بين أبى عبيدة وخالد ، والذى يبدؤه الأول بقوله :

من أين ذاك المالُ ؟ نبئنى به   يا بن الوليد، ولن تُحير جواباً

فهذا حوار فى الحقيقة يجرى بين عمر وخالد ، ولكن التصرف الجديد فى الرواية يجعله يجرى بين خالد وأبى عبيدة ، وهناك أمثلة أخرى كهذا المثال .

— ٣ —

وبالنظر إلى الشخصيات التى تضطلع بأدوار فى الرواية لها أهميتها ، يظهر ما احتفظت به الرواية لتلك الشخصيات من مكانة عرفها لها التاريخ .

فخالد بن الوليد ، شاب مخزومىّ ، نشأ فى عزة من قومه ، ومكانة مرموقة بينهم :

ما خالدٌ إلا ابنُ عــــزّ قد تَنَشَّأ فى الحرير
هو كالمغـــيرة جدُّه   فى آل مخــزومٍ أمير
وله السُّرادقُ والأعنَّـــةُ فى النِّفار وفى المسير

وهو فى الجاهلية صاحب السيف على الإسلام ، كما هو فى الإسلام صاحبُ السيف على الجاهلية والشرك :

بات لا يعرف الهزيمة سيفُ اللـــه فى كفّ ذلك الصنديد

وهو فى الإسلام ذو مآثر مذكورة ، فهو الذى أوفده النبى بعد عام الوفود لهدم الصنم المعروف بالعُزَّى ، يتحدث عن نفسه مفاخراً فيقول :

هادمُ العُزّى بكفّى هذه   فالقُ الطود بسيفى إذ أصول !

وهو فى القتال كرّار جبّار لا ينجو العدو من بأسه ، لكنه مع ذلك كريم النفس رحيم بالضعفاء :

لم ينجُ منك مُسلَّطٌ ... بالعبقرية داهيـــه
وعلمت أنك فوق ذ ... لك ذو مراحم ساميه
من أمةٍ تهدى إلى ... مُثُل الحياة العاليه

وأما أبو عبيدة عامر بن الجراح ، فذو مكانة يعرفها له المسلمون ، وفى مقدمتهم عمر أمير المؤمنين ، وهو صريح يقول مايعتقد ، ينصح قواد المسلمين فى اليرموك ألا يتساندوا ، بل يجمعوا جيوشهم على أمير واحد ، ليكون النصر أضمن لهم ، ثم يأتى خالد فيؤثر فيهم ، ويحاول جمعهم على ذلك الرأى فيأبى عمرو بن العاص . ولكن أبا عبيدة يهاجمه فى صرامة :

يا عمرو ماذاك ؟ مهلا ... غلوتَ ، فالله أكبر
لقد نَفَستَ عليه ... والنفس بالسوء تأمر
ما أنت واللهِ منـــه ... على القتــال بأقدر

وهو سياسى ، يجمع إلى ذلك فضيلة التواضع والإيثار ، ويتجلى ذلك حين يأتى البريد من المدينة بعزل خالد وتوليته . ويعرض عليه خالد أمر المسلمين ، ومايتعرضون له من الشقاق والتفرق ، وهم على الملحمة ، إذا عرفوا موت أبى بكر ، ويطلب إليه أن يبقى الخطاب سراً مكتوماً بينهما . فيجيب إلى ذلك دون تردد . وهو يدافع عن خالد دون تردد أيضاً حتى فى موقف محاكمته ، إذ يقول لعمرو :

دَعْك يا عمرو ونَتْفَ الفرَوَاتْ !

ولكنه مع دفاعه عنه ، يناقشه ويسأله فى المحكمة أسئلة مفحمة عن مصدر ثروته التى جمعها ، ويشتد فى ذلك حتى يقول له معنفاً : « ثكلتك أمك ! » فيجيب خالد آسفاً : « بل أراك ظلمتنى ، وتبعتَ ظناً فى الرجال كذاباً . . . المال والأنفال . ذلك مَغْنمى . . . والدينُ يسهمُ للرجال نصاباً . . . »

وأما عمرو بن العاص فيظهر فى الرواية ، كما هو فى التاريخ ، مخادعا

ماكراً، وسياسياً بارعا، يصفه أبو عبيدة، ليزيد بن أبى سفيان فيقول له:

لا يا يزيد، إنه السَّهْمىُّ أمكر العرب
قد ولدته أمُّهُ ليلةَ مكر وشَغَبْ!

والفصول التى يدبرها لخالدُ محُكَمَةٌ تشهد ببراعته ودقة فنّه ... وإذا كان التاريخ لايثبت كثيراً مما تثبته له الرواية بالنسبة لخالد، إلا أن الرجال قد تحزب بينهم أمور، والرواية لابد أن يكون لها تشويق ...

أما بلال، مؤذن الرسول، فقد احتفظت الرواية لشخصيته بتقدير خاص. فقد دافع أمجد دفاع عن بنى جلدته من ذوى البشرة السمراء:

فليعلمنّ، فإنما شرع السويَّة أحمدُ
وإذا طغى ليُؤَدبنَّ الحرَّ عبدٌ أسود

كما دافع عن فكرةِ الديمقراطية والمساواة بوجه عام. وأنكر وجود الامتيازات بين الطبقات:

ذهب امتياز الجاهلية فى الزمان الأول
وتقدم المولى بما أثور الصلاح على الولى

وتأتى بعد ذلك الشخصيات النسائية، وأهمها فى الرواية شخصيتان. تمثل كل منهما المرأة العربية فى ذلك الحين. الأولى ابنة المنهال، أو أم تميم أو — كما سميتها فى الرواية — زينب .... كانت زوج مالك، ولكنها كانت تأخذ عليه تردده وخوفه حتى ليُسمَّى بالجفُول... تصف نفسه وموقفها منه أحسن وصف إذ تناجى نفسها فتقول:

وقد بات أمس معى مالك يخوِّفنى خالد بن الوليد
وإنى لأخشى على مالكٍ تردُّدَه، واللجاج الشديد

وهى تعطينا فكرة عن المرأة العربية بوجه عام إذ تخاطب خالداً بعد زواجها منه حاضّةً إياه على الخروج للقتال فتقول:

إمض؛ فإنى سوف آتى بالنساء من أَمَمْ

بالعربيات ، الأبيات ، الشريفات العصُمْ
نحمِّس الأبطال فى الهيجا بنار تضطرِم
نروى الظما ، نضمد الجراح ، نرفع العلم
بسِرِّنا ، وسحرنا سوف تسودون الأمم

والشخصية النسائية الثانية هى شخصية فاطمة بنت الوليد أخت خالد : ولم تظهر هذه الشخصية إلا فى الفصل الرابع ، ولكنها ظهرت لتحل أعظم عقدة أوجدتها الحوادث ، إذ يستشيرها خالد فيما يطلبه عمر شرطا لإعادة أملاكه والعفو عنه أن يعترف بجريرته ، فتحرضه على عدم الاعتراف ، وهكذا تحوّل بنصيحتها الأبية مجرى حياته ؛ كما سبق بذلك القول .

— ٤ —

والرواية ، خلاف معالجتها لشخصيات تاريخية وتحليلها إياها تعالج عصراً بأسره ، وتحلله . فالأمة العربية هى خير الأمم ، وأبقاها :

غداً سيبنى على الإسلام دولتهُ خير الشعوب وأبقاها على الزمن

والعرب أمة تدعو بالإسلام إلى أعلى المثل فى الحياة الإنسانية ، فخالد كما تقول فتاة رومية :

من أمةٍ تهدى إلى مُثُلِ الحياة العاليهْ

والعرب أمة تقدر العمَلَ ، ولكنها لا تغالى فى عبادة الأشخاص ، شأن الأمم الأخرى ؛ فخالد على لسان متمم :

لو كان من أمة أخرى لسار بها عليه أوسمةُ الياقوت والذَّهب

. . . .

لكنه عربىّ مسلم فُتِحَت بسيفه عاصيات المعقل الأشِبِ
يموت كالليث فى المنفى بلا صخب ولا صديق ، ولا مال ، ولا نشب

والرواية تعطى درسا للعرب المقبلين أن يكونوا كآبائهم العرب السالفين :

فليكرم الله ذكراه ، ويجعلها   درساً لأمته من سالف الحقب
وليبق سيرته التاريخ لو وجدت   فيه كسيرة هذا الفاتح العربى !

— ٥ —

ولقد نظمت هذه الرواية استجابة لدعوة أدبية طيبة مالت إلى تحقيقها نفسى . وهى أحياء هذا التراث العربى الجليل ، عن طريق المسرح والتمثيل ، فبدأت برواية خالد بن الوليد فى عام ١٩٤٠ . . . وأتبعتها بنظم رواية أخرى هى « الأمين والمأمون » عام ١٩٤٤ . . . أما الرواية الأولى فقد عرضتها فى أخريات عام ١٩٤١ على الفرقة القومية ، فتفضل بقراءتها من ناحية اللغة أستاذى الجليل حضرة صاحب المعالى الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا وزير الأوقاف وأقرها لغوياً ، ثم قرأها حضرة المخرج المعروف الاستاذ عمر جميعى فأقرها تمثيلياً كذلك بعد أن أبدى بعض ملاحظات فنية دقيقة تتصل بالإخراج ، فحققت ما أشار به ، ولكن الظروف لم تمهلنى حتى تأخذ الرواية مجراها فتتاح فرصة تمثيلها على خشبة المسرح إذ ألغيت الفرقة القومية بعد ذلك مباشرة ، وحلّت محلها الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى ، وكان أكثر ما تجنح إليه الروايات العامية . . . فعند ذلك بقيت لدىّ هذه الرواية ، حتى رأيت أن أؤدى دينا علىّ نحو الثقافة ونحو الإنتاج الأدبىّ فقدمتها اليوم للمطبعة ، لتكون فى أيدى القارئين دون الانتظار حتى يشاهدوها فى المناظر المسرحية ويسمعوا شعرها من أفواه الممثلين . .

والمؤلف فى مصر محمولٌ على اجتياز مثل هذه التجربة ، ولقد اجتزتها صابرا ، فليحكم القارىء الكريم على هذه الرواية على أنها استجابة لدعوة أدبية بذلت فى سبيل تحقيقها كل ما أملك من جهد . .

ولقد بقى لدىّ حديث طويلٌ عن لغة المسرح ، وعن طريقة نظم المسرحية ـ وقد اختلف المؤلفون فى ذلك اختلافاً كبيراً ـ وعن غير ذلك من المسائل المتصلة بهذا الموضوع ، ولكنى أكتفى بهذا القدر الآن ، وليكن موعدى فى ذلك المقدمة من رواية « الأمين والمأمون » التى نظمتها على طريقة غير هذه الطريقة ، والله المستعان ؟

القاهرة فى { محرم سنة ١٣٦٤ هـ
يناير سنة ١٩٤٥ م

عامر محمد بحيرى

تمهيد

زمن الرواية : خلافة أبى بكر ثم عمر .

مكان الرواية : اليمامة ؛ فالمدينة ؛ فاليرموك ؛ فقِنَّسرين : فحِمص .

أشخاص الرواية :

الشخص	الصفة
خالد	أمراء الجنود
أبو عبيدة	
عمرو	
يزيد	
أبو قتادة	جنديان ثائران على خالد
متمم	
مُجّاعة	سيد بنى حنيفة أسره خالد ثم أطلقه
مالك	شقيق متمم وزوج زينب قبل خالد
وكيع	ملازم لخالد
بلال	مخاصم لخالد
جُرْجى بن توذر	قائد القلب فى جند الروم باليرموك
إبن زُنَيم	رسول عمر باليرموك
زينب (إبنة المُنهال)	زوج خالد بعد مالك
فاطمة بنت الوليد	أخت خالد
مارية	شقيقة جورجى بن توذر
بريرة	جارية زينب

صوت من السماء

نكرات مسرحية (جنود . رسل . حجّاب . . الخ)

الفصل الأول

المنظر الأول

« صحراء البطاح . خيمة مالك بن نويرة تشغل جزءا من يمين المسرح . يبدو قسم من داخلها . رمال الصحراء مترامية إلى يسار المسرح . يقبل مجّاعة من اليسار فى يده القيود . بينما يظهر متمم بن نويرة خارجا من الخيمة . وراء مجّاعة على قيد خطوات جنديان يحملان السلاح .... »

مجاعة : (يخاطب نفسه)

لا تنتهى الفتنة حتى يَرَى كذَّابُنا عاقبة الكذبِ

حنيفةُ . هأنذا سيِّد فيها ، فأين الأمرُ يا ربى ؟

إذا عدا الدهر على سيِّدٍ أدبَرَ عنه صفوة الصحب

(ثم متطلعا ومقبلا على متمم)

متممُ ذا ؟

متمم : مُجّاعة ؟ ويك ! مرحباً وأهلا وسهلا

مجاعة : كيف أنتَ متممُ ؟

إلى أين؟

متمم : من وادى البطاح وشرّه إلى بلدٍ ناءٍ

مجاعة : وأينَ تميمُ ؟

(متمم يهز رأسه ويسكت)

مجاعة : بربك قل لى فالطريق مخوفة

متمم : وماذا بها ؟

مجاعة : جيشٌ كثيفٌ سيهجمُ

متمم : (ساخرا)

نبى جديدٌ للبطاح ؟ كفى كفى

مجاعة : وهمت أشدَّ الوهم ، بل هو مسلم

متممُ اصبرْ ساعةً بالله واجلس هاهنا

حتى أقُصَّ ماجرى عليك

متمم : ما الذى جرى ؟

(ثم فزعا منتفضاً وقد رأى القيد مقيداً به مجاعة ولم يكن رآه)

القيد ! ياويح لعينى . ويحها . ماذا ترَى ؟

مجاعةُ انطق

مجاعة : (فى هدوء)

اصطبرْ ولا تَعَجَّلِ النَّبا

كنتُ خرجتُ أمسِ فى طلاب ثأر ودِمَا

فى أربعين من صِحَابِى ملأُوا جَوْزَ الفَلا

ثم قفلنا راجعينَ لانُبالى من مشى

فغلبتنا فى الطريقِ سِنَةٌ من الكرى

نِمنا وأرْسانُ الخيو لِ فى الأكفِّ تُنْتَضَى

فلم يَرُعْنَا غير جيش خالدٍ وقد دنا

متمم : (باهتمام)

أخالدٌ وجيشه ؟

مجاعة : أجــل بجيشــه أتى

فأوثق الجمعَ كتـا فأً ثم قام فانبرَى

وإنمـا أراد أنْ يأخذنا أسرى وَغَى

قال : متى سمعــتمُ بنا فجئتمْ يا ترَى ؟

قلْنا ـ ولم نفطن لمـا أرادَهُ وما نوَى ـ :

كنا ، ولم نشعُرْ بكم نطلب ثأراً يُبْتغَى . .

قال : فَقَتِّلوهمُ . . فقُتِّــلوا . . إلا أنا

متمم : هــذا الغبــاءُ منكمُ

مجاعة : وهل كمثــلهِ غبَا؟

متمم : كيف نجوْتَ ؟

مجاعة : إنمـا يطولُ عمرُ ذى الشَّقا

إذ قال منهم قائلٌ وصــدرُهَ إلى القَنا :

إنْ كنتَ تبغى الخيرَ فى بنى حنيفــةِ غــدا

فاستَبْقِ هـذا منهمُ لا تسقه كأسَ الردى

فلو أدين بحيــا تى فلذلك الفــتى !

متمم : كيف تركتَ ، خالداً وأنتَ بعضُ من أسَرْ ؟

مجاعة : أعطيتُــهُ متممُ المَــوْثِقَ أنى لا أفِرّ

(ويشير إلى حارسيه) :

ومن ورائى رَصَدٌ على الطريق ينتظِرْ

متمم : وأىّ وجهــةٍ إذاً أنتَ مُولٍّ ؟ ولِمَهْ ؟

مجاعة : إلى بنى حنيفـــــةِ قبل الخطوب المُقْدِمَه

متمم : فعلّها أن ترْعَوى ؟

مجاعة : (فى أسف ويأس) لا يَرْعَوِى مُسَيْلمَه ؟

ثم لمتمم : وأنتَ عُدْ لِمالكٍ فهوَ أخوكَ يا أخى

كلِّمْهُ فى ترك العنادِ جملةَ

متمم : بخٍ بخٍ !

مالِكُ لا يرجع حتى يضعوا زكاتَهْ

فى سبيل وضعِها يمنحهم حياتَهْ !

مجاعة : إذاً إلى أين ؟

متمم : إلى الجِدِّ ، كفى هزلا كفى

فى اللهِ لا فى باطل الأَمْرِ يُؤاخى ذو الحجى

مالكُ ليسَ لى أخاً حتى يراجعَ التُّقى

وإننى لذاهبٌ لخالدٍ بلا ونَى

فلاحقٌ بجيشهِ نعمَ الأميرُ والفتى

مجَّاعة اسمع ، قل لهم من شاء أمناً ورضى

فليتجنَّبْنا غداً

(ثم مصافحاً) إلى اللِّقا

مجاعة : (يصافحه) إلى اللقا

(يخرج متمم من جهة اليمين ويخرج مجاعة بين حارسيه من جهة اليسار)

المنظر الثانى

« داخل خيمة مالك . تظهر زينب وبريرة جاريتها .... »

زينب : بريرة

بريرة : سيدتى

زينب : أنظرى شويهاتنا من وراء الخباء

(وتناولها إناء)

خذى فارقبى الحى من عندها وهاتى لنا لبناً فى الإناء

(تتناول بريرة الإناء وتخرج . ثم يسمع صياح)

(لنفسها)

صياحٌ ! إلهى ! ترى من يصيح ومن هو هذا المغيرُ الجديد

وقد بات أمس معى مالك يخوفنى خالدَ بنَ الوليد

وإنى لأخشى على مالك تردُّدَه ، واللجاجَ الشديد

فلا هو مُفْضٍ إلى خصمه ولا هو فى داره بالقعيد

ألا بئسَ هذا رفيق النساءِ وأنعم بذاك القوىّ الرشيد

(يدخل مالك فجأة فيسمع آخر قولها . .)

مالك : ومن هو هذا القوىّ الرشيد ؟

زينب : (محاولة تغيير الحديث) هو الزوج !

مالك : (فى صرامة) من ذاك ؟ زوجٌ جديد ؟

زينب : (فى عتاب) أنتَ !

مالك : وَيلُ الرجال منكنَّ يا زينبُ !

زينب : لِمْ ؟

مالك : إن كيدكنَّ عظيمُ

خبّريني بالله ما تبتغى المر أةُ أشقَتْ بها العبادَ تميمْ

عند ما ألّبت قبائلَ شتّىَ ثم سارت والشرُّ فيهم مقيمْ ؟

زينب : أسِجَاحاً عنيت ؟

مالك : من غيرُها للسـحرِ ؟

زينب : (ضاحكة) والسحرُ فى النساء قديمْ

مالك : مما يحارُ له ذو اللبِّ من عجب نبيَّةٌ سجعت فى البيد قرآنا

مرَّت على الناس وهناً فاستجاب لها قوم غدوا فى ظلام الليل آذانا

مضت تشق بهم بيداءَ واسعةً وتنزل الليلَ أوطاناً وبلدانا

سارت إلىّ ، وأغواها مسيلمة فأسرعت نحوَهُ ظلماً وعُدْوانا

وكان أخدع منها إذ تزوّجها ولم تكن غيرَ أنثى . ساءَ ماكانا

إن أبرمت نقضت أو حالفت غدرت أو أنشدت سحرت شيباً وشُبَّانا

واليوم فى قومها سارت مُولّية من بعدما أوقدت فى الأرض نيرانا

فقال قائلهم شعراً يُرَدِّدُهُ فيهم رجالا إذا ساروا وركبانا

(أمست نبيَّتُنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياءُ اللهِ ذكرانا !)

زينب : (معرضة به) :

رأت سجاح جفولا فى الرجال فلم تقبل خضوعا لذى ضعف وإذعانا

فلا تظنوا كثيراً فى نفوسكمُ إن النساء يسُدْنَ الناس أحيانا

مالك : عرضتِ بى ، ويحكِ ، هل أنا الجفولُ زينب ؟

زينب : أستغفرُ العشرةَ والحبَّ

مالك : لسانٌ أعذبُ

ياليته إن عشتُ أو إن متُّ ليس يكذبْ

زينب . سجاحُ قلتَ إنها تزوجت مسيلمه

فهل صدقتنى ؟

مالك : أجل قصة هزل مؤلمه

زينب : كم ياترى الفاجرُ قد أمهرَ تلك الفاجره ؟

مالك : لو تعلمين لضحكتِ أو لقُمْتِ ساخره

نادى مؤذِّنٌ له بين الجموع الزاخره

حط صلاة الفجر عنهم والعشاءَ الآخره !

زينب : (تضحك فى سخرية) .

مالك : (بعد تردد)

إنى لأخشاك إذا أقبلَ جندُ خالد

أن تذهبي فى ركبه رضى ولم تجاهدى

ألم تكونى امرأة ؟

زينب : (فى خبث) بل الوفاءُ شاهدى

أستغفرُ العشرة والإخلاص . . أنت واحدى

مالك : إذا فهل لديك من نصيحة مشجِّعه ؟

انفض صحبى كلهم عند اقتراب المعمعه

حتى أخى .. متمم علىَّ فى الحرب معه

لم يبق لى إلا وكيعُ ..

زينب : قم إليه ، قد حضر
واستوثق الليلة منه يك خير من نصر
أما أنا فأدخلُ الخبَاءَ ، أسدلُ السِّتر
(تدخل زينب الخيمة ، ويظهر وكيع)

مالك وكيع

وكيع : مالك
مالك : هذا والله خطبٌ فظيعُ
في مقلتيك شعاعٌ مروّعٌ أم دموعُ ؟
وكيع : يراد منك قرارٌ فيما نويت سريع
نحو اليمامة سارت للمسلمين جموعُ
ولست تقوى على ابن الوليد ، لا تستطيعُ
إما الزكاة ، وإما قتلٌ وفتكٌ ذريعُ
ولن يُهادنَ حتى بالسيفِ يفنى الجميعُ
مالك : ماذا نويت وكيعُ ؟
وكيع : إني سميعٌ مطيعُ !

مالك : لقد غدا كلُّ ماحولي يخوِّفني وتهمسُ البيدُ في أذنيّ : قد جاءوا
كلا فما أنا بالمرتدِّ ينذرني من جندهم منذر بالموتِ مَشّاءُ
فللصلاةِ إقامٌ في مساجدنا وللشهادة والتسليم إفشاءٌ
إلا الزكاة .. فإني لستُ مخرجها فليصنعوا بي مُنْذُ اليوم ماشاءوا
وكيع : نصيحتي أن تسمعوا ولا تُناوشوا الرَّجُلْ

فإنه في قوةٍ ليس لكم بها قِبَلْ

مالك : وكيعُ كنتَ نصيري إذا ألمَّتْ مُلِمَّه
وكنت في الحق ترعى للوُدِّ إلا وذِمّه
فهل تقومْ بنصري في هـذه المدلهمّه ؟

وكيع : وهمـتَ مالك فيما ذكرت وهماً بعيدا
لقد رفعت لواء العصيان فدما بليدا
وكم نصحتُك من قبلُ لو أطعت رشيدا

مالك : (مغضباً)
تسبُّني ؟ ستراني إذاً أبيّاً عنيدا

وكيع : (ساخراً)
مَنْ ؟ أنتَ ؟

مالك : ويحك إن لم تكُفَّ بالسيف تُقتَل

وكيع : لا بل غريمَكَ فانظر وما أظنُّكَ تفعَلْ
وبين جنبَيْكَ نفسٌ من الجنادبِ تَجْفِلْ
غداً لقاؤُك ! (يخرج وكيع)

مالك : اذهب فلستَ أولَ غادر
هم غادروني جميعاً فأنت فارق وغادر
قد يَغْلِبُ الأكثرينَ القليلَ . والله قادر
(يسمع في الخارج دوى الرعد ويرى ضوء البرق)
(مستمراً) :
أبرقت السماءُ ثمَّ أرعدت ياويحها ، هل وعدت أم أوعدت
أم الخطوبُ المُرْسلاتُ قد عدَتْ ؟

(مناديا) (يدخل الحاجب)

غلام

الحاجب: سمعاً

مالك : إلى النّا سِ قبل أن يدهمونا

وَمُرْ مُؤَذّنَ يربوعَ أن يؤذِّنَ فينا

الحاجب: سمعاً أمير (يخرج الحاجب)

مالك : بلى فالرِّجَالُ قد يُخْدَعُونا

« يسمع صوت المؤذن من الداخل مرتفعاً بالأذان »

(ثم يدخل الحاجب مضطربا . . .)

الحاجب: أميرى

مالك : ما وراءَك ؟

الحاجب: قد حصِرْنَا ونحن الآن أسْرى فى الخباء

مالك : علىَّ بصارمى (يتناول السيف)

الحاجب: وصلت جنودٌ وها هى تلك سارية ورائى

رأيتُ متمما فيها

مالك : شقيق ؟

الحاجب: متى انقلبَ الإخاءُ إلى عداءِ ؟

مالك : لقد ضعنا وليس لنا معينٌ أَعِنَّا أنت ياربَّ السماء !

(يخرج مالك والحاجب هاربين ويدخل جنديان

من جنود خالد يبحثان عن مالك . . . . . .)

الجندى الأول أين ؟ لقد كان هنا

« الثانى هل فرّ ؟

« الأول مرَّ من هنا

الجندى الثانى نتبعُهُ

« الأول هيّا بنا

(يخرجان ويسمع فى الداخل ضجيج قتال . . . .)

(يدخل مالك بعد لحظة مطرقاً ووراءه حارس يتبعه ..)

الحارس: والآن ، أنتَ أسيرى أجَلْ ، بأمرِ الأميرِ
هنا تظلُّ مقيماً إلى الهزيعِ الأخيرِ

(يسير مالك جيئة وذهاباً كالأسد المقيد ثم يسأل فجأة ..)

مالك : أين ابنة المنهال؟ أين زوجتى؟

الحارس: فى خيمة الأمير

مالك : وَا فضيحتى !
الوَيْلُ لِى . .

الحارس: ماذا تقولُ ؟

مالك : لم أقُلْ شيئاً ، الا أسألُ عن حليلتى؟
هى التى قد بقيت لى منهمُ ودادُها الصدق الذى لا يكذب

الحارس: إذاً فأنت واهمٌ لأنها قد خدعتك

مالك : كيف؟ لا. ما السببْ؟

الحارس: قد كاتبَتْ على الزواج خالداً فى خيمة الأمير عقدٌ يكتبُ

مالك : إذاً فلم يبق لِوُدِّى أحدٌ وَيلاهُ! حتى هى؟ حتى زينبْ؟

(يقع متهالكا . يسمع الرعد ويلمع البرق وينهمر المطر . .)

(ثم يسمع فى الخارج صوت المنادى فيخرج الحارس مستطلعاً . .)

المنادى : يأيها الحُرَّاسْ وخيرةَ الجُنْدِ
الماءُ غاثَ الناس فى البرق والرعدِ

فنفِّذوا الأمرَ للأسْدِ الوَرْدِ
ودافئوا الأسرَى من قارس البرْدِ
(ويكرر النداء مرات حتى يبتعد ويتلاشى . . . .)

مالك : أراها ليلةَ كالحرب هَولاً رهيبٌ ما تثورُ به جليلُ
وجوهُ البرقِ كالأسياف فيها وتدويةُ الرعودِ هي الطبولُ
بنو يربوع قد سمعوا الأمرى وعقبى الأمر خسرانٌ وبيلُ
وإنى قد دعوتهمُ لدينٍ خُدعتُ به وأكثره فضولُ
فلم نُفلحْ ولم نُنجحْ وعدنا إلى الإسلام فى ندمٍ يطولُ
وكيف لقاءُ جندٍ مستميتٍ يمدُّهمُ بنفحتهِ الرَّسولُ ؟
(يعود الحارس بعد ذهاب المنادى وهو يشهر سيفه . . .)

الحارس : قم إلى القتل

مالك : ويحَ للنذلِ ! ماذا أنتَ بى صانعٌ !

الحارس : أُطيحُ برأسك

مالك : تقتلون الأسير؟هذا هو الغدْ رُ، تمهَّلْ، ولا تُدِلَّ ببأسك
لم يكن خالدٌ ليرْضى بهذا

الحارس : أو لم تسمع النداءَ بنفسك ؟
(يتكرر النداء السابق)

مالك : إنما قال دافئوهم من البرْ دِ ، ومن شرِّ ليلةٍ هتَّانهْ
سببٌ واضحٌ وقولٌ فصيحٌ فمتى أصبح الفصيحُ رَطانهْ ؟

الحارس : لم أكن جاهلاً ، مدافأةُ الأسرى هى القتلُ .. عندنا فى كنانه

مالك : (يدفعه) كُفَّ يا وغد !

الحارس : (يسل السيف) لا تسُبَّ !

مالك : (متراجعاً) وهل هـذا سِبابٌ؟ لا بل أقول ترفَّقْ؟
عندما يلتقي المُدَجَّجُ والأعزَلُ فالرفقُ والمروءةُ أليَقْ
(متوسلا)
خُذْ كلَّ مالى وما أقْتنى وخَلِّ حياتى
أميركم ساق زوجى فهؤلاءِ بناتى
خُذْهنّ!

الحارس : (متخابثاً)
بل لستُ أرضى من ذاك غيرَ الزكاةِ!

مالك : مَنْ لى وقد جرَّدونى وانفضّ عنى ثقاتى

الحارس:(هاجماً) إذاً فمُتْ

مالك : كُفَّ يا وَغْدُ!

الحارس: اعتدلْ!

مالك : وَيْلَكَ، دَعْنى
هل مَنْ يحُولُ إلهى بين اللئيم وبينى؟
(متوسلا) حتى أصَلِّىَ للـهِ - فانتظر، ركعتينِ
صبراً

الحارس: (فى لؤم) وليستْ هذه أيضاً!

مالك : (متضرعا) بربّك!

الحارس: (ويضربه بالسيف) اعتدِلْ!

مالك:(ويسقط ميتاً) وارحمتاه!.

الحارس: مُتْ! لأنتَ اليوم شرٌّ من قُتِلْ
(يرى الحارس شبحاً مقبلا من بعيد فيحقق فيه النظر
وقد نال منه الاضطراب بعد قتل أسيره . . . . .)

مَـنذَا أرى ؟ من راكبٌ عن البعيرِ قد نزَلْ
وإنّـهُ لمُقبِـــلٌ عليَّ مُسرعٌ عجِلْ
هـذا مُتَمِّمٌ أخوهُ ! ويحه ! فما العمل ؟
(يدخل متمم متعجلا باحثاً حوله . . . .)

متمم: (فى لهفة) ويحك ! أين مالكٌ ؟ تكلّم ، انطق ، ما فعلْ ؟

الحارس: (فى هدوء وعزم)
نفّذْتُ رغبةَ الأميرِ !

متمم « منزعجاً » هل قتلْتَهُ ؟

الحارس: أجَلْ !

متمم : ياوَغْدُ ، قال دافِئوا الأسرَى .. لأُمِّكَ الهَبَلْ

الحارس :(مشيراً للقتيل) هذاأخوكَميِّتٌ

متمم (يميل عليه) هذا الشهيدُ والبطلْ
« ثم ناهضاً » لآخُذَنْ ثأرَكَ ، ولأنْتَقِمنْ !

الحارس (ساخرا) رأيٌ فسَدْ
ناقَضْتَ والله بها نفسَك ! حكّمِ الرّشَدْ
كنتَ عليه ، كيف صِرْتَ معه على الأسد ؟
لأنه أخــوك ؟

متمم : قَوْلٌ لم يَقُلْ به أحَدْ
لكن أناصِرُ الحقَّ

الحارس: (محتداً) هو المُرْتدُّ ، مانعُ الزّهَدْ[1]

متمم : ما كان مرتدًّا ، لقد صلَّ ، وزكى ، وشهدْ
فقَتلُهُ جريرةٌ وأخذ زوجه نَكَدْ

---
(١) الزكاة .

لا لا ، وهل يرضى أبو بكرٍ بها ؟ لا أعتقدْ
لأذهبَنْ : أؤلِّب الجند على هذا النَّكِدْ
ولأجعلنَّ الانتقام منه طِلْبَةَ الأبَد !

« ستار »

الفصل الثانى

المنظر الأول

« ستار فى وسط المسرح يخفى القسم الداخلى منه . يلوح على الستار رسم يمثل المسجد بالمدينة حيث يظهر المنبر والمحراب وخَوْخَةُ أبى بكر . جماعات من المسلمين جلوس بالمسجد يتحدثون . متمم وأبو قتادة واقفان . . . .

متمم : والله قد طفح الكيـــلُ يا أخى وزيادهْ
أبوقتادة : إنا شهدنا ، فهيّا بنا نُؤَدِّ الشهاده
نثـيرُ روح أبى بكــرِ ، او نثيرُ انتقاده
فمــا أراه سيرضى
متمم : تظنُّ ذاك اعتقاده ؟
أبوقتادة : لِمْ لاَ ؟
متمم : أخالفك الرأى
أبوقتاده : لا
متمم : أصِخْ يا قَتادَه
أخافُ أن يأخُذَ الأمــرَ كلَّهُ بالهـــواده
وما أبو بكـرٍ الا نِضْوَ التقى والعباده
وهو المُقلِّد هذا المـفتونَ أمر القياده

ولن يُساعِفَ إلا فتًى قويٌّ الإراده
لا يرتضى خالداً ، لا ولا يحبُّ اعتـداده
يرضى الخليفـةُ منه دفاعَهُ واجتهـاده

أبو قتاده: مَنْ ذاك ؟ مَنْ ؟

متمم : عمرُ بن الخطاب !

أبو قتاده: نِعْمَ الوِفادَه

قد قلتَ قولاً يا مُتَمِّمُ والحقيقةُ فى مقالك
واخترتَ أكرم من يُحقِّقُ مابه طول اشتغالك
وغداً سيعلمُ خالدٌ أىَّ الدهاةِ جرى ببالك
عمرٌ عليهِ واجِدٌ متربِّصٌ إحدى المهالك

متمم : هيّا إليه بلا انتظارٍ !

أبو قتاده: أستجيبُ إلى سُؤالك

متمم : نأتيه من وادى البِطاح ومن مروّعة المسالك
ونقولُ أسلمَ روحَهُ ظلماً فيا رفقاً بمالك !
ولد المغيرةِ غيلةً أودى به والليلُ حالك
لو قد شهدتَ مصيرَهُ أو كنتَ موجوداً هنالك

أبو قتاده: صلىَّ وأذَّنَ ! سوف أشهدُ ! سوف أُخبره بذلك !

« يخرج متمم وأبو قتاده .... »

« جماعة من الجالسين يتحدثون .... »

الأول : أسمعت المقال ؟

الثانى : شىءٌ عجيبُ عمرٌ حاقدٌ على ابن الوليدِ
وسيمضى أبو قتادةَ والموتورُ يستضرمان نارِ الحقود

ليس ما ينويان والله رأياً   يتأتى عن الحصيفِ السديدِ

الأول : صاح! أما الخلافُ فيما أراه   بين هذين فهو غيرُ جديد
ليس إلا الخلاف بين النَّديـــدين!

الثاني : ترى خالداً له كالنديد ؟

الأول : لِمَ لا، وهو بَعدُ أكثر منه   سابقاتٍ فى سابغاتِ الحديد
هو سيفُ الإسلام فى كل غزوٍ   قائد السرب مُوقعٌ بالأسود

الثاني : أو تنسى حديثَه يومَ أحْدٍ   وهو فى المشركين رأس الجنود
دارَ بالخيْل دورةً أولت النَّبـــلَ ظهور الحُماة للتوحيد
وأصيبَ النبيُّ واختلَّ نظم الجيـــشِ من سوءِ فعله المنكودِ
أخاراً بالجاهليَّةِ والعصيـــانَ !

الأول : لا بل بفنِّـهِ المشهود
باتَ لا يعرف الهزيمة سيف اللـــهِ فى كفِّ ذلك الصنديد
فمع المسلمين جدٌّ رهيفٍ   وعلى المسلمين جدٌّ عنيد!
الجاهليةُ يا أخى قد أدبرت   لا يرجعن الشركُ بعد ذهابِ
بُعث النبيُّ برحمةٍ وهدايةٍ   ورعاية للأهل والأصحاب
فأجاب فى البدء القليل وأعرضت   أممٌ فلم يُظفر لها بجوابِ
كلُّ الذين لهم لواحقُ نجدةٍ   لهمُ سوابقُ فتنةٍ وشغاب
عمرُ المُدِلُّ بنفسهِ وبسبقهِ   قد كان أول ساخطٍ وثابِ
أو ما سمعت مقالةً مشهورةً   سلفت لذاتِ تأوُّهٍ ومتابِ
لا يُسلمُ المرءُ المُدل ببطشهِ   حتى تُنيبَ حمارةُ الخطاب ؟

الثالث : يا قوم لا تتنــاجَوا   بقصـــة الجاهليـــة

عفىَّ الزمانُ عليها وتمّ نصرُ القضيه
وبدّل القوم حسنا ما بينّ فعلٍ ونيّه
قلوبهم تبعثُ النّو رَ كالشموسِ السنيّه
لهم مواقفُ صدقٍ على الزّمانِ عليّه

الثانى : (غاضباً)
إذاً فقل كيف تُنسى المواقِفَ العُمريَّة ؟

الثالث : (بهدوء)
والخالدية أيضاً

الأول : (بحدة)
صدقت ، والخالديه !

« يقوم رجلان من الجالسين فيقتربان من خوخة أبى بكر . . . »

الرجل الأول: هناك امرؤٌ قائمٌ للصلاةِ يُطيل ويحسن فى سجْدتِهِ
ويدعو الإله أحرّ الدعاء عسى أن يُجابَ إلى بُغيتِهْ

« الثانى: ومن فى الرجال تُرى ؟

« الأول: من يكون ؟ عجوزٌ يميلُ إلى وحدته
على ثوبه رُقَعٌ لا تُعدُّ وسيما الصلاح على جبهته

« الثانى: تحقق إذا لم تكن قد رأيت أليس الخليفةَ فى خوخته ؟

« الأول: تعال بنا يا صديق ، تعالَ بنا ، واترك الشيخ فى خلوته
قصدنا الخليفة ما شأننا بشيخٍ يكرِّرُ فى سُبحته !

(يعودان أدراجهما فيخرجان من المسرح مارين بالجالسين)

الأول : يَرحمُ اللهُ أبا بكرٍ ، فقد مرّ قوم من هنا . ماعرفوه
ومشوا بين يديهِ بينما زعموا بالظنّ أن لم يجدوه

فلَقُ الصبح أبو بكرٍ فلو حقَّقت أبصارهم لم يُنكروه؟

الثالث : خلُّوا التنابُذ واسمعوا

الثانى : ألديك من نبإٍ بشَىْ ؟

الأول : ماذا لديك ؟

الثالث : إشـــاعةً كالبرق فى نشرٍ وطَىْ

الثـانى : عجِّلْ بفحواها

الثالث : أجـــل فاسمع وصدِّق يا أخىْ

لمتمٍ وأبى قتـــا دةَ غايةٌ وصلت إلىّ

وسيدخلان على الخليـــفةِ عند مقدمه

الثانى (مستفسراً) : لِـكَىْ ؟

الثالث : سيُندِّدان بخالدٍ حتى يُشيرا كلَّ حَىْ

وسيشهدان بأن مَقْـــتَـلَ مالكٍ كفرٌ وغَىْ

الأول : هذا حديثٌ قد سُبِقْـــتَ بهِ مُعادٌ يا قُصَىْ

الثالث : وإشـــاعةٌ أخـــرى

الثـانى : وما هى تلك ؟

الثالث : صدِّق يا أُبَىْ

بعثَ الخليفةُ مرســلا يطوى الفَلاَ من آلِ طَىَّ

كيما يجىءَ بخـــالدٍ

الأول : (مهتما) حقاً ؟

صوت من الداخل : قفوا

الثالث : انـظُرْ لِحَىْ !

« يسمع ضجيج يدخل فى أثره متمم وأبو قتادة وحولهما بعض المسلمين »

متمم : ماذا رأيت أبا قتـــادةَ ؟ قل لهم

وعسى تقولُ العـــدلَ والإصلاحا

وقتادة : من فى الرجالِ سواى يصدقُ قولُهُ

يبغى الرشاد وينشد الأسجـــاحا

لـمـا غشينا القوم فى جنـــح الدجى

رُعْنَاهمُ جَلَباً بهم وصيــاحا

حتى إذا أخذوا السلاح لحربنـــا

وبدوا كما نبـــدو لهم أشـــباحا

قلنا لنحنُ المسلمون فبيِّنوا

قالوا ونحنُ المسلمون فصاحا

قلنـا فما بال السـلاحِ شَهَرْتُمُ

قالوا كذلك تحملون سلاحا

قلنـا إذا أنتم صـــدقتم وُدَّنا

فَضَعوا السلاح كرامةً وسماحا

فَرضوا وصلينا وصَلَّوْا خَلْفَنَا

حتى بدا فَلَقُ الضيـاء صباحا

« يظهر السامعون التقدير والأسف والاستنكار ، متمم يتجه نحو المنبر ثم يقف بجانبه مخاطبا الجمع . . . »

متمم : إسمعوا ياقوم ، ياقوم اسمعوا

الثالث : مَنْ ؟

الأول : أخو مالكٍ ؟

الثالث : اسمع ما يقول

الأول : ذاكَ موقورٌ فدعنا يا أخى
الثالث : بل نرى الحجّة، فضلٌ أم فُضول
متمم : خالدٌ يا قوم أَرْدَى مالكا بحسام الغدر فالأمرُ جليل
وهو فى فَعْلتِهِ من لم يكن صاحب الدين ولا القصد النبيل
من وراء القتل يبغى رُتبةً من بها اعتزَّ فوالله ذليل
الثانى : قل لنا ما هى ؟
الثالث : بيِّنها لنا
الأول : قل
الثانى : أبِنْ
الثالث : صرِّحْ لنا
متمم : ماذا أقول :
يبتغى القاتلُ من فَعْلَتِهِ لو غدَتْ فى أهله زوج القتيل
الأول : خالدٌ يفعل هذا ؟
متمم : أى نعم إننى قلتُ وحقٌّ ما أقول
قائد الجيش غدا فى بيتها لا يميزُ الدُّفَّ من دَقِّ الطبول
الثانى : يا له من غادر
الثالث : بل خائنٍ
الثانى : إنه قد حاد عن عهد الرسول
متمم : ما الذى أعددتم الآن له فهو مدعوٌّ على وشك الوصول
بعثَ الرُّسْلَ أبو بكرٍ له انظروا هاقد أتى يبغى المُثول
ماالذى أعددتمُ ؟
الثانى : أسيافَنا
متمم : فليلاقِ الموتَ . . . والموتُ قليل

« يدخل خالد ووكيع واثنان من الجنود . . . »

الثانى : فليَمُتْ خالدُ

وكيع : إرجع

الثالث : فليمت

الثانى : ما إلى إنقاذه اليوم سبيل

خالد : ماأرى ياقوم؟ ماهذا؟ قفوا إرجعوا ، إنى أنا الليث المهول

هادمُ العزَّى بكفِّ هـذه فالقٌ الطود بسيفى إذ أصول

« يسل سيفه »

من يكن بالليث أغراكم فما هو لليث بنــدٍّ وزميل

« يغمد السيف ويتراجع القوم عنه . ثم يتقدم أبو قتادة مغضباً فينتزع ريش سهام موضوعا فى عمامة خالد فيحطمه تحت قدميه . . . »

أبو قتادة : أهذا القَباءُ عليك الحديدُ وتلك العمامةُ تحوى السهاما

فهات سهــامك لى إننى سأجعلها تحت رِجْلى حُطاما

« يتقدم متمم فيمسك بتلابيب خالد . . . »

متمم : رياءً قتلت امرءًا مسلما ففى الحشر تُسأل عن نفسه

وما كدت تسقيه كأسَ المنيَّــــة حتى نَزَوْت على عِرْسِه !

وكيع : يا أمــيرى ، إنما جئــتَ لكى تَلْقَى الخليفه

ولكى تُخــبره بالأمــرِ من آل حنيفه

ولكى تُدْلِى بالصــدقِ وآراءٍ حصيفــه

خالد : أين ألقاهُ !

وكيع : تقــدَّمْ بخُطَى النصر الشريفه

ثم مِلْ شيئاً قليـــلا تَلْقَهُ عند السقيفه

« يتجه خالد نحو باب خوخة أبى بكر فيخرج مه . . . »

أبوقتادة : (جانباًلمتمم)ذهب البغيضُ لحتفه فاذهب تحرَّ لنا الأمور

عُمَرُ هناك ، ولن يرا هُ أمامه حتى يثور

إنى قصصتُ عليه قصته

متمم : أجل ، وهو الوزير

وكيع :(معترضا) بل فانتظر

متمم : من أنت !

وكيع : قف تُسأل عن الأمر الخطير

فلقد أراك غلوْت فى فعلٍ سيوردك الثبور

« يتقدم أبو قتادة إلى وكيع محتداً فيخرج متمم . . . »

أبوقتادة . صه يا عدوَّ الله ! صه !

وكيع : وكذاك أنت بلا ضمير ؟

أبوقتادة : لِمَ يا وكيعُ ؟

وكيع : رَمَيْتَهُ بالغدر والفعل المبير[1]

وهو المقدَّمُ فى الجنو دِ وصاحبُ الرأى الأخير

فى الحرِّ ينفرُ باطشاً كنفاره فى الزَّمهرير

سيف الإله ودرعُهُ وله أبو بكر نصير

فاذهب فشأنك حين تطلب أن تنازله صغير

أبوقتادة . إسمع إلىَّ إذاً ، ومثلى حين تشتمه صبور

فلأوضِحَنَّ لك الخفىَّ وأهتكنَّ لك الستور

ما خالدٌ إلا ابن عزٍّ قد تنشَّأ فى الحرير

(١) من البوار أى المهلك .

هو كالمغـــيرةِ جدّه   في آل مخزومٍ أمير
وله الشّرادِقُ والأعِنَّـةُ في النَّفار وفي المسير
يبغي من الحرب التحـ   ـكم والجلوسَ على السرير
الجاهليـــةُ لم يزل   منها به الشيء الكثير
ليس الفـــداء فتونه   بالحرب بل حب الظهور

الرجل الأول: الحـــقُّ ماقدْ قلتَـــهُ

الثالث: وأبو قتـــادةَ لا يَمين

وكيع: وأبو قتادةَ مختَنِـــقٌ   في صدره الداءُ الدفين
يبغي يكون كخالدٍ   صدرَ الرجالِ، ولن يكون

«يعود متمم فينتحي ناحية هو وأبو قتادة ....»

أبو قتادة: ماذا وراءك ؟

متمم: لا تَسَلْ   إن الحوادثَ مؤلمهْ
وأرى المسائل أُخْرِجتْ   بالقَسْر من يدنا

أبو قتادة: لِمَهْ !

متمم: لقي الخليفـــةَ خالدٌ   بتملُّقٍ ومقـــدِّمَهْ
وإليـــه قدَّم عُذرَهُ   وأفاض فيه ليُكرمهْ

أبو قتادة: عجباً ، وصدَّقهُ ؟

متمم: وَوَجَّـــهَهُ لحرب مسَيْلِمَه !

أبو قتادة: ماذا تقول ؟

متمم: أجل لِيَلْـــحقَ باليمامةِ عِكرمَهْ
ولسوف يأتي الآن فاحــذَرْ أن تكون مكلِّمهْ

أبوقتادة: وإذاً فلم ينطق بخيرٍ أو بشرّ

متمم : مَنْ؟ عمَر؟

لا بل تكلمَ ، بل أفاض وثار جدًّا وانفجر

ودعا أبا بكرٍ فقال تركته لمّا غَدَرْ

واغتال مالك بعدما صلى وأعطى واعتذر

ونزا على العُرْسِ الجميلةِ مثلما ينزو النَّمِر

أبوقتادة: ماذا أجاب بهِ أبو بكرٍ ؟

متمم : تلكَّأَ واصطبَر

وأجابه : هبه تأوَّل فأخطأَ يا عمَرْ

ها قد أتى فى القوم فاصمت ياأخى وخذ الحذر

خالد : (من وراء ستار)

هلمَّ أقبِل يا ابن أم شمله أحمل عليك بالحسام حمله

أبو قتادة: قد أفْلَتَ الموقف منا جملة !

«يدخل خالد ومعه اثنان من الجنود . . .»

متمم : أرى الديك منتفشاً ريشُهُ سما العرف منهُ وفاض الجناح

وأخشى إذا أنا ناوَشْتُهُ يطول الصراع وتدمى الجراح

«يخرج متمم وأبوقتادة منسحبين»

خالد : إلىَّ جند الله! سوف تخرجون للوَغى

ليس هناك لحظةٌ تضَيَّعَ اليوم سدى

الأول : ماذا رأى لنا أبو بكر ؟

الثانى : أجل ماذا رأى ؟

وكيع : (مشيراً إلى خالد)

ألقِ على من شرعوا الردَّةَ ضرغام الشرَى
ينهدُّ مثلَ صخرةٍ تحدَّرَتْ من السما

الثانى : إلى اليمامةِ المسيرُ

الثالث : باليمامةِ الملتقى

الأول : ونشهد الملحمة الكبرَى بسطوحِ الفلا

خالد : فليظهر الكذاب لى أم أنه قد اختفى !

ألحقهُ بمالكٍ نهايةً كما انتهى
لكى تكون غضبتى وضربتى هى القضا
فلا تقوم بعدها قائمة لمن طغى
وكى تُوَحَّد البلادُ للفتوحات العُلى
أيام صبرٍ وبلاءٍ فى الإله ترتجى
فمن لها إن لم أكن أنا لها ؟ أنا . أنا
هيا جنودَ الله !

وكيع : هيَّا !

الأول : للقتال !

الثانى : للوغى !

« يخرج خالد يتبعه وكيع والحاضرون . . . »

المنظر الثانى

« يرتفع الستار المتوسط فتظهر فى القسم الخلفى من المسرح خيمة خالد باليمامة تمتد أمامها رمال الصحراء . بريرة جالسة إلى نهاية الخيمة مطرقة تؤدى عملا يدوياً . خالد وزينب واقفان فى وسط الخيمة وقد وضع يده على كتفها . . . . . . »

خالد : والآن أنت فى حمى الليـــث ! فهمتِ زينبُ ؟

زينب : وكم تمنَّت النِّسا ءُ قاهراً لا يغلبُ
ضعف الرجال مبغضٌ وبأسهم محَبَّبُ

خالد : قد كنتِ زوج مالكِ فكيف كان مالك ؟

زينب : ذاك الجفولُ سددت فى وجهـــه المسالك
وقد علمتُ أنَّهُ من الجفول هالك

« تنظر إليها بريرة . . . »

خالد : يعابُ علىَّ قِتْلَتَهُ أسيرًا وأخذى من حليلتهِ مكانه
ويرمينى بها عمرٌ فسيفى سيغسل وحده تلكَ الإهانه

زينب : كيف قتلتَ مالكا من غير ماذنبٍ جنى ؟

خالد : هل أخرجَ الزكاة ؟ كنــــتِ معه ، قولى لنـا
ومع هـذا لم أشِرْ بقتـــله ، لستُ أنا

زينب : كـيف ؟

خالد : لقـد أمرت أن يُدافأ الأسرى

زينب : أجـــل
كانت بحـــق ليلةً شاتيـــة

خالد (مؤكداً) : غيثٌ هطـل
وكان من كنانةٍ يحرسُهُ شرُّ رجلْ
فأخطأ الفهم فأرّ داهُ وبئس مافعـل

زينب : عاقبـــــتمُ قاتله إذاً ؟

خالد : على أيّ خطـلْ ؟
أليسَ فى كنانة دَافاً معنـاها قتَـلْ ؟

بريرة جانباً : دمٌ أريق هدَراً منذا يرى ؟ من يسمع ؟
كم فى أساليبِ المقـا لِ من معان تخدَعُ

خالد : والآن أمضى عجلاً أهيّئُ المقـــاتِلهْ
وفى معـــونة النســا ، كشف كلّ نازله
لو قلت ماذا يا ابنة المُنْهــالِ أنت فاعـلهِ

زينب : إذهب إلى المجـــد فأنـــتَ اليوم ضرغام الأجم
وأنت ليتٌ أغلبٌ على العـــدوّ مقتحم
بكلّ غابٍ حلّهُ على فريســـة جثم
إمض فإنى ســوف آتـــى بالنساء من أمَمْ
بالعربيـــات الأبيـــاتِ الشريفات العُصُم
نحمّسُ الأبطال فى الهيجـــا بنارٍ تضـطرم
نُرْوِى الظّما ، نضمّدُ الجـــراحَ ، نرفع العـلم
بسرّنا وسحـــرِنا سوف تسودون الأمَم

« يسمع ضجيج فى الخارج ويخرج خالد وتشيعه زينب ثم تعود إلى الخيمة ... »

لقد واللهِ أكرمنى بحقٍّ وفضّلنى على كلّ النساء
وعاد يُحبّنى حباً عظيماً كأنَّ القلب جوهرة الصفاء
ولما ناشَ سهم الموت زوجى تكفَّلنى بعاطفةِ الوفاء
رأى فى الدار ثُكلى وانقطاعى فخفَّفَ لوعتى ومحا بُكائى
أيُوجَدُ هكذا زوجٌ ؟

بريرة « ترفع رأسها ضاحكة » سريعاً شهدتِ له !

زينب : ولِمْ لا يابريرة
أليس الزوج يَرْعى كلّ حقّ وخير معاشر يحمى العشيره
ولم أعلم عليه من نشور

بريرة : ومالك ؟

زينب : كان مرتفع العقيره
إذا فى الدار لم يُعجبه شيءٌ فحربٌ أنتِ منها مستجيره

بريرة : وخالدُ غير ذى صخب ؟

زينب : كريمٌ له حكم الأناة مع البصيره
كأخلاق النبيِّ لهُ هدوءٌ وصفحٌ واعتذاراتٌ كثيرة
أميرٌ فى الرجال إذا تلاقوا وزوجته بمنزلها أميره

بريرة : وقلبُهُ ؟

زينب : لى

بريرة : كلُّهُ ؟

زينب : أجـــل وأنتِ شاهده
وإنْ أردت الحق نحـــنُ خالدٌ وخالده

بريره : لكنَّ للاســـلامِ حكمــــاً ما خَــلا من فائدة
تعـــددُ الزوجاتِ

زينب : بل شَطرُ القلوبِ الواجده
لـكلِّ زوجٍ قطعـةٌ من الفـــؤاد بارده ..
وهـــل نسيت آية عن النسـاء وازده
« إنْ خِفتمُ ..

بريره : عرفتُ : « ألاَّ تعدلوا فواحـــده » !

« تنهض بريرة وتتقدم نحو زينب .... »

بريرة : سيدتى

زينب : ماذا ؟

بريره : نسينا جملةً أنَّ أسيرنا بظاهر الخِبَا

زينب : مجاعة ؟

بريره : أجل

زينب : ومن مُجّاعةُ ؟ ما شأنه ماذا يريد ها هنا ؟

بريره : سيِّدُ سادات بنى حنيفةٍ

زينب : جماعة الكذَّاب ؟ يابئس الورى
يا عجباً لابن حبيب بيذهم قدسلب الناس الحُلوم والحجى
ربيعةٌ قد تبعت كذّابها ومُضرٌ تعرف صدق المصطفى
ماذا يقول ابن حبيب لهم وما الذى يفعل فيهم يا تُرى ؟

بريرة : سيدتى ذلك حاو ماهرٌ يخادع الناسَ بأعجب الحوَا
يستخرجُ البيضة من زجاجةٍ ويتركُ الأرض يباباً بالدُّعا
وسجعه . . (وهى تضحك)

زينب : أتحفظين سجعه ؟

بريرة : أحفظُ شيئاً

زينب : هاتِه ، قولى لنا

بريرة : (يا ضفدعَ ابنةَ ضِفدَعين) نقى ماتنقين، نصفك فى الماء و نصفك فى الطين . . .

زينب : (ضاحكة) قولى له خسئت يا لعين بالجرف من ماء وطين !

« يسمع ضجيج المعركة يقترب ثم يدخل مجاعة مهرولا . . . »

مجاعة : إلىّ ، إلىّ

بريرة : سيدتى ، هلكْنا لقد هجمَ الأسيرُ على الخبَاء
زينب : دعيه فربمّا أجدَى علينا وإن يك خالدٌ فيه احتمائى
أرى الهيجاء قد حميتْ وطيساً وشقَّ غبارُها كبد السماء
وهذا الجيش يدنو ثم يدنو وأخشى أن نكون من السِّباءِ

مجاعة : هاتِ سيفاً ، ناولينى ثم كونى عن يمينى
سوف أحمى الدارَ ، أحميها من الشرِّ المُبينِ

زينب : (معرضة)
إنما يحمى حِمانا خالدٌ ليثُ العرينِ

« يدخل جماعة من جنود بنى حنيفة فيحمل مجاعة سيفاً ويستقبلهم به . . . . »

حدبنى حنيفة : نحن بنُو حنيفَهْ والغارةِ العنيفه !

الآخر : (لزينب)
أأنتِ زوجُ خالدٍ ؟ فدافعى وجالدِى

جماعة : (معترضاً)

مكانكم لاتقربوا أهل الدارْ أمنعها وإننى لها جارْ

فنعمت الحُرَّةُ بنتُ الأحرارْ !

خالد : (من وراء الستار)

قِفُوا مكانكم قِفُوا أو ابرُزُوا لتعرفوا

أنا الدمارُ المشرفُ !

أحد بنى حنيفة: قد جاءكم خالدٌ

الثانى : فِرُّوا

(يدخل خالد شاهراً السيف ووراءه جماعة من المسلمين .)

خالد : قِفُوا

أحد بنى حنيفة: انطلقوا لستم لذلك فى الهيجا بأكفاءِ

خالد : إن الخليفة يدعونى لأقتلكم

وأعمل السيف فيكم دون إبطاء

هذا فإما حياة قد رضيتُ بها

لمن أقرَّ وإما حرب إفناءِ

قتلٌ وحرقٌ وتعذيبٌ ومهلكة

فى طيِّها سبيُ أزواجٍ وأبناءِ

أنا الدمار ، وإن الله أرسلنى

صبا ، وأعداؤه فى الأرض أعدائى

(يبارزهم خالد بالسيف ؛ وتقع ملحمة عظيمة بين الفريقين ، فيحمل خالد وجنوده حملة يخرجون بها بنى حنيفة من المسرح ويتبعونهم . . . تستمر المعركة . . . زينب وبريرة على المسرح وحدهما . . . يدخل أحد المسلمين مسرعا . . .)

الجندى : بشراكمُ ، بشراكمُ أين الأمير ؟

زينب : أينْ ، لِمَهْ ؟

(يدخل خالد وفى يده السيف ومعه مجاعة والجنود . . .)

خالد : ماذا وراءك ؟ قل لنـا

الجندى : قتَـلَ الإله مسـيلمه

(يدخل أحد الجنود المسلمين يحمل رمحاً طويلا على طرفه رأس قتيل فيلقى بها إلى الأرض . . . .)

الجندى الثانى الكلبُ تلك رأسُــهُ قد فُصِلَت عن الجسدْ

خالد : من الذى أصابَهُ ؟

الجندى الثانى وحشىٌ

خالد : نعمَ ما قصَـدْ

قد كفَّر العبدُ بها عن قتل حمزة الأسَـدْ

مجـاعه : (يتقدم) .

أمير الرجال بلغت المدى فبالله إلا حقنت الدماء

حنيفة ألقت إليـك القياد وذاقت بسيفك حرب الفناء

وكان مسيلمة قطبها فدارت عليهِ ونالَ الجزاء

لقـد كان لابارك الله فيه طويلَ العناد عظيمَ الغباء

فجرَّ على الناس ماجرَّه ولم يدَّخر غير سخطِ السماء

فجُدْ بالسلام يَفِ المخلصون وإنى ضمينٌ بهـذا الوفاء

خالد : أتعطى الضمان لعهد الأمان وتحفظ ذمتنا ؟

مجـاعة : لا مـراء

خالد : فكُّوا إذاً قيد الأسير ، وفى غدٍ
للصلح مؤتمرٌ لدينا يعقـــد
وإلى الديار بنى حنيفة ، أنتم الطلـ
ـقاء ! فامضوا سوف تجمعنا الغَـدُ
عهـــد الإله لكم وذمةُ خالدٍ
الله يشهدُ والنبيُّ محمَّـــدُ

جماعة : إلى غدٍ يا أميرى لقـــد فهمت المقالة

خالد : هذا رسول

(يدخل رسول فيؤدى التحية لخالد ...)

الرسل : أجـــل يا مولاى !

خالد : (ويتناول منه الرسالة)
أدِّ الرســـالة

(بعد قراءتها)
أصغوا إلىَّ ، أعيرونى مسامعكم
هذا الخليفـــةُ بالتنويهِ شرَّفنى
ولم تزل يدُهُ تنهلّ سابغـــةً
علىَّ بالفضل والإكرام والمِنَنِ
فكيف أشكرها إلا بطاعتـه
وإن تكن تقتضينى أكبر الثمَـنِ

أحد الجنود : ومامشيئته ؟

الآخر : ماذا انتُدِبتَ له ؟

خالد : قد انتُدبتُ لإبلاءِ وممتحنِ

إذا فرغتُ من الكذاب منتصراً
والحمد لله ، أعلاني وأكرمني
فإنما الأمر يقضي أن أسير بكم
فإنه لقتال الفُرْس أرسلني
نُزيلُ كسرى عن الإيوان ، نقذفه
ونوطئُ الخيل منه دُرَّةَ المدن

أحد الجنود : قد انتدبتَ لأمر أنتَ فاعلهُ
الآخر : ومن كخالد حامي الدين والوطن ؟
خالد : اليوم تمَّ لهذا الأمر نصرته
وزال بالموتِ رأسُ الشركِ والفتن
اليومَ يبنى على الإسلامِ دولته
خير الشعوب وأبقاها على الزَّمن

(ستار)

الفصل الثالث

(رمال الصحراء باليرموك . تظهر ضفة النهر على مدى البصر خيمة القيادة تشغل جانبا من يمين المسرح . تظهر خيام أخرى متناثرة على الستار الخلفى . . . أبو عبيدة، وعمر . ويزيد يجلسون أمام خيمة القيادة يتحدثون . . .)

أبوعبيدة : (واضعاً يده على كتف عمر) . . ولست أدرى ياعمرو

عمرو : ماذَا ترتابُ فيهِ أبَا عُبَيْدَه

أبوعبيده : أرتابُ فى أنَّنَا سنُصْمِى عَدُوَّنَا أو نرُدّ كيده
وهل يكون العدوُّ صيداً لسهمنا أو نكون صَيْده

يزيد : لماذا ؟ ألم نُصمِهِم دائماً ونوردهمُ الخُطّةَ المُوبقَه
ألم يعلموا أننا نقتنى سيوفاً لأنفسهم مزهِقَه
ألم نجلهم عن جنوب الشآم ؟

أبوعبيده : أجل يا يزيدُ وأنتَ الثّقَه
ولكنهم أجمعوا أمرَهُم ونحنُ على البُعدِ والتفرقه
أليست ألوفهمُ قد ربت على المائتين ؟

يزيد : أجل يبلغون

أبوعبيده : وكم نحن !

يزيد : عشرون ألفاً

أبوعبيده : وما ذاك ؟ بل قُلْ ثلاثون بل أربعون
أهذا التساند ما بيننا يردُّ العدا أو يدك الحصون ؟

يا عمرو

عمرو : ماذا ؟

أبوعبيده : أجبنى للخير والخيرُ عندك
ترض الآله وتحسن بها إليه مرَدّك

عمرو : فما استطعتُ وأرجو لو حقق الله قصدك
سلنى تجدنى مجيباً

أبوعبيده : تضم جندى وُجنْدَك
فلا أحارب وحدى ولا تحارب وحدك

عمرو : (يعرض ولا يجيب)

يزيد : إن أنتمُ لم تتركوا التفريق والمُفَاخره
فإننى أقولها نصيحةً وتذكره
أخشى عليكمُ فتىً ذا قُوَّةٍ ومَقدره
ليثٌ فما ناوأ ليث الغاب إلاّ هبره

عمرو : من ذاك ؟

يزيد : ذاكَ ابن الوليد وهو آت ها هنا
وهو الذى دانت له العراق ، منكم قد دنا
أصغَرُ سنًّا منكمُ لكنه أعلى سنا
إذا أتى كان له الفخر جميعاً دوننا

عمرو : إذا أتى نفله فما له إلاّ أنا
فإنّ عندى حيلةً له وقولاً بَيِّناَ

يترك فخـــــر الانتصا ر قسمةً ما بيننـــــا

يزيد : المكر ، هـذا المكر يا ابن العاص ، أنت داهية

أبو عبيده : (ضاحكا) لم تدر حتى الآن ؟

يزيد : ما سامعةٌ كرائبَـه

أبو عبيده : لا يا يزيد ، إنه ألسَّـهمىُّ ، أمكر العرب

قـــد ولدته أمُّه ليـلةَ مكرٍ وشغب

(يدخل الحارس . . . .)

الحارس : مولاى خالدٌ الأمير

أبو عبيده : ليـأتِنـا عجِّلْ به

الحارس : أمرُ الأمـــير مطاع

عمرو : من خالدٌ هذا ؟

الحارس : أتنكرهُ ؟ وهل يخفى لبدرٍ فى السماء شُعَاعُ

هذا الذى دان العراق لسيفه ورأى الأعادى بأسه فأطاعوا

هذا الذى فتح العراق بأسره فى ظله عيَّاضُ والقَعْقاع

فليظهرن لدى اللقاء عليكم فكأنكم فى جيشـه أتباع

ها قد أتاكم فى الجنود كأنَّه ليثٌ لمخرجه العدوُّ يُرَاعُ

(يدخل خالد فى جماعة يسيرة من جنده . .)

الجميع : أهلا بسيف الله

خالد : مر حى بالمقاتلة الأســـود

أبو عبيده : بين أمـيراً جئتَ أم مدداً من البـلد البعيـــد

خالد : لمـــا أتت كُتُب الخليـــفة لى يجدُّ بهـا البريد

وعلمت موقفـكم بهـــذا الكرب والغم الشديد

جزت القفار إليـــكمُ   وقطعت كالسهم النجود
قد كنت فى شط الفـرا   ت أراكمُ رؤيا الشهود
فشققت صحـــراء الشآ   م وفى معيتىَ الجنـــود
المـاء شحّـط فى القرا   ب وأعوز الإبل الورود
وبدا الشحوب على الوجو   د شحوب ذابلة الوورود
ما كان يدفعنا ســـوى   أملٍ يبلغنا الخـــلود

أبو عبيدة. لله درّك من مجـــاهد   تبغى الخلودَ وأنتَ خالد !

خالد : ألا صحّ اللقاءُ فخبِّرونى   ومنكم أعرف النبأ اليقينا
أرى للروم حولكم هزيماً   وأحسبُ أنهم يتكاثرونا

أبو عبيدة: أجل قد جاءهم مددٌ عظيم   فقد بلغت ألوفهم مئينا

خالد : وكم أنتم ؟

أبو عبيدة: لئن أحصيت فينا   لناهزنا الألوف الأربعينا

خالد : وكيف تقاتلون الجمع منهم

عمرو : نقاتِلْ جمعهم متساندينا

خالد : فبئس الرأى

عمرو : بل مهلا رويداً   ودعنى أوضح الرأى المبينا
فان الروم أهون من عدو   وأسرع من قطاً متفزعينا
وما يهوون لقيا كم ولكن   رموهم فى الأتون محرضينا
قساوسة قضوا فى الوعظ شهراً   وما فرغوا فبئس الواعظونا
لقد بلّغت أن قد أوثقوهم   سلاسل بالحديد مقرنينا
فلولم يضمروا منكم فراراً   لما شهدوا القتال مسلسلينا

خالد : ألا إن هذا ليومٌ عظيمٌ ولله أيامه فى الوَرَى
فلا ينبغى الفخر يوم الإله ولا يجمل البغىُ مِمَّنْ بغى
فأرضوا الإله بأعمالكم وإخلاصكم ولنعم الرضى
ولليوم ما بعده فاعلموا بأن النظام سبيلُ العدا
وليس تساندكم بالذى يحلُّ وقد عُبئوا هكذا
ولو للخليفة علمٌ بما رأيتم لما راقه ما جرى
فما لم تكونوا أمرتم به فلا بأس من حطةٍ ترتأى

الجميع : فهات ، فما الرأى ؟

خالد : إنى أرى أبا بكر أرسلكم للهدى
بياسر بعضكم بعضكم وإلا فشلتم وضعتم سدى
وإن الذى قد منيتم به أشد على الناس مما دهى
وأنفع للمشركين اللئام وأجدى عليهم أشدَّ الجدا
أدنياكم فرَّقت بينكم وغرتكم فى الحياة المنى
فكلٌّ له بلد مستقلٌ وكلٌّ له فى المغازى لوا
وما كان تأميركم بعضكم بمنقصكم فى عيون الورى
فعند الإله مقاديركم وعند الخليفة لا تمترَى
هلموا هلموا فإن العدو مُصَبِّحُكم بضواحى القرى
إذا رُدَّ فى يومه لم يَزَلْ يُرَدُّ وتنهار منه القوى
وإما رُددتم فلن تفلحوا إذاً أبداً بعد هذا اللقا
هلموا التعاونَ ولتَنْتَقِل علينا الأمارة هذا وذا
إذا نالها اليوم منَّا أميرٌ تلقفها منه ثانٍ غدا

وإنى كفيلٌ بها يومكم لأضرم أولَ نار الوغى
فهل تقبلون ؟

أبو عبيده : أبنت فأحسنت فأجعل لنا مهلةً للجَدَلْ
فتنتج رأياً لنا صالحاً

خالد : هلموا هلموا ، البدَارَ ، العَجَل

« يخرج خالد ويخلو المسرح إلا من أبى عبيده وعمرو ويزيد »

عمرو : يا قوم لا تستنيموا إلى الحديثِ المخدِّر
والله ما قال هذا إلا لكى يتأمَّر
حتى إذا ما نصرتم ما زال بالنصر يفخر
فعارضوا واستميتوا فإنكم منه أجدر

أبو عبيده : يا عمرو ما ذاك : مهلاً غلوت فالله أكبر !
لقد نفست عليه والنفسُ بالسوء تأمر
ما أنت والله منه على القتال بأقدر

يزيد : قد اختلفتم سريعاً والغيبُ أمرٌ مقدر
وما أرى غير أن الوفاق أهدى وأبصر
فالأمر مما ذهبتم إليه والله أيسر
لكل يوم أميرٌ منا يسودُ ويظهر
وسوف يمتدُّ هذا القتالُ حتى تؤمَّرْ
فليس يوم بكافٍ للنصر بل هو أكثر
فأمِّرُوا اليوم هذا وفى غد يتغيَّر .

أبو عبيده : سمعت عمرو ؟ أطعنى فالرأىُ عند يزيد

وفيــــــه للشمل جمعٌ فالخلفُ غـــير مفيـــد
لكل يـــوم أميرٌ منـــا لزحف الجنـــود
فارضَوْا بأول يـــومٍ لخـــالد ابن الوليد

يزيد : رضيت عمرو ؟

عمرو : هلموا قولوا له ما أردتم
هل كنت أحرصُ إلا على الذى قـــد حرصتم ؟

« يعود خالد . . . . »

يزيد : مرحى !

خالد : قطعتم برأيٍ ؟

أبو عبيده : وبالأمير رضينـــــــا
إليـــــك أول يوم إمارة المســـــلمينا
والله نسألُ أن تحْـــرز انتصـــاراً مبينا

خالد : وهل رضيتم جميعاً ؟

الجميع : أجل ، أجل قد رضينا

خالد : قد أصبتم فيما اتخذتم من الرأ يِ ، وتلكم خلائق الأبرار
فدعونى أُعبّيءِ اليوم جيشاً لم يعبَّأ على مدى الأدهار
وأقسِّمهُ للنزال كراديـــسَ عليها أكارم الأنصار
ثم ألقى (تذارق) المتعالى بحسامى وصارمى ذى الفقار
ثم أسعى إلى (ابن توذر) سعياً فى سبوح يشقُّ موج القفار
منشباً للقتال قبل شروق الشـــمس حتى تزول أخرى النهار
أنا من دانت العراقُ لسيفى فى قليلٍ كاللمح بالإبصار

أنا ويلٌ على العِدا ودمارٌ أىُّ ويل لهم وأىُّ دمار
فأحزموا أمركم وضموا صفوف الجيـ
ـش ِ ضمَّ الجنـــاح للأطيار
واستعينوا بالله فهو يمِد جمعكم بالملائكِ الأطهار
وازحفوا الزحفة التى لاتثنى بسواها غداة يوم انتصار
والذى نفسُ خالدٍ بيـديه لنزيلنَّ دولة الفجَّار

(يخرجون ويخلو المسرح من الجميع . تتغير الإضاءة بحيث يصبح الوقت ليلا.. تظهر مارية فى الظلام تسترق الخطى فى حذر نحو خيمة القيادة . . .)

مارية : يا أهل هـــذا الخِباءْ يا ذادة الصـــحراء
رسول حقن الدماءْ ؟

(تظهر زينب فى باب الخيمة...)

زينب : منذا دعا ؟

مارية : أين الأمـــيرُ ؟

زينب : مَنْ ؟

مارية : أميرُ العربِ

زينب : ومن تكون هذه الحَيَّـــة ذاتُ الذنبِ ؟
ليس هنـــا من تسألينَ عنه . هيَّـــا فاذهبى

مارية : لا بل هو الأمرُ الخطـــيرُ ، انتظرى

زينب : قلتُ اعزُبى

(يظهر خالد بباب الخيمة . . .)

خالد : ماذا سمعتُ ؟ من الذى بالبابِ ؟ من ؟

مارية : أنا مَاريَهْ

خالد : لم يأتـنى نبأ بهـا ماذا تريدُ الجاريهْ ؟

زينب : روميَّـة تبغى الأمـيرَ ؟

خالد : إذاً دعينا ثانيـه

(تخرج زينب ...)

مارية : إنى إليـك رسولة من عنـد قومى آتيه

أنا بنت توذر ، أخت جرجى ، سـيد فى الناحيـة

خالد : ما تبتغين هنا ؟

مارية : قـدمـتُ إلى الأميرِ مناجِيـه

وعلمتُ أنك فارسٌ يغشى المعارك داميـه

لم ينج منك مسلَّطٌ بالعبقرية داهيـه

وعلمت أنك فوق ذ لك ذو مراحم ساميـه

من أمة تهـدى إلى مُثُلِ الحياةِ العاليـه

فرجوت عنـدك مطلباً أتُرى سأرجع خاليـه ؟

خالد : ماذا رجوتِ ؟ سَلى فإنَّـا لا نخيِّبُ راجيـه

مارية : إحقن دماءَ أخى

خالد : إذا هجر ابنُ توذر ناديه

وأتى إلىّ مصـدِّقا فهى الحياة الناجيـه

أما إذا لاقيتُـهُ فى الحرب فهى القاضيه

مارية : إحقن دماء أخى فديتُـك !

خالد : اسمعى يا ماريه

إنى لأنطق لفظة ما إن لها من ثانيه

ماريه : يدعوكِ باسمكِ فارقى إن السعادة آتيه
ورسالة أخرى إليكَ عجزتُ عنها

خالد : ما هيه ؟

مارية : القلبُ يا مولاىَ !

خالد : ما هو غير قول الهاذيه

مارية : كلا وحقك إننى لك ما حييت لفاديه

خالد : لم أدر ما تتكلمين به

مارية : سأشرح مابيه

خالد : لا ! إنما هى ليلةٌ ظلماءُ تبرحُ شاتيه
وكذاك نأخذ حذرنا عند الخطوب العاتيه
من كل عين فى الظلام وكل أذنٍ واعيه
فالحرب ما هى ؟ خدعة قبل الزحوفِ العاديه
قومى لجرجى أخبريهِ ، غداً أكون مُلاقيه

مارية لنفسها : كيف المسيرُ وللفؤاد تعلُّقٌ
بالقائد العربىِّ ذى الخطراتِ
بالفارس الممتاز فى أقرانه
والمعجب الفتان ذى اللفتاتِ
ما أبصرته العين حتى غودرت
صرعى تسارقه هوى النظراتِ
زين الشباب وزين أبطال الوغى
والكوكب المنقض فى الغارات

رقص الجواد به مدلا معجباً
إن الجواد به لذو نشواتِ
ما كان أجمـــــل مايهز يمينه
بالسيف أو بالقوس والمرماةِ
ياقلب ما بعد التعلق ؟ ما الذى
قضت الغيوب على ابنـةِ الملكاتِ
فلعل هـــذا الحب أول مخرج
لك يا فؤادى من دجى الظلمات
إنى أحس النور يغمر خاطرى
ويفيض فيض السحب منهمراتِ
يا رب فاسلك بى سبيل هداية
وأنِر سبيلى أو أقل عثراتى
(تخرج مارية . . .)

خالد لنفسه : وزائرةٍ تنـــاجيـــنى بليـــل
وتخـــدعنى بألفاظِ عـــذابِ
تخبّرُ عن هوى وتفيض حســـناً
كحسن الشمس لاحت فى السحاب
ولا والله ما أدرى أأفعـــى
رماها الروم تلدغـــنى بنـابِ
وإن الروم قـــد عرفت بغـدر
تحـــارب بالتخـــاتُلِ لا الحرابِ

أأفعى تلك أم نطقت بحق
ومالت للهداية والصواب
وليس القلب منى ذا جمود
ولكنى لذات الحسن صاب
ألا يارب إنى فى ظلام
فبدده بنورك واجلُ مابى
وأيدنى بجند منك تترى
بنصرٍ عند ملتحم الضراب
فإن غداً على اليرموك يومى
وهذا الليلُ مسلوخ الإهابِ

(تظهر انوار خاطفة تملأ جوانب المسرح ، ويسمع فى السماء حفيف أجنحة الملائكة . . . . . .)

إلهى !

صوت السماء : خالد استبق المعالى وخاطر عند ملتحم الزُحوفِ
إلا بشراك إن النصر آت يهم إليك من بين الصفوف
وإنا جند ربك قد بعثنا أمام الجيش نضرتَ بالسيوف

(يتكرر النداء ، ثم يذهب النور ويسود الظلام ثانية . .)

خالد : ألا سبحانك اللهم ربى نصرتَ فلن يطول إذاً وقوفى

(يخرج خالد . . . تتغير الإضاءة بحيث يصبح الوقت عند الشروق . تدخل جماعة من جنود الروم من يمين المسرح وتمر حتى تخرج من اليسار ثم تدخل جماعة من جنود المسلمين ...)

أحد المسلمين (لصاحبه):

انظر أخا الإسلام هل رأيتنا
وهل علمت فى النزال شأننا
والروم فى الجند الكثيف حولنا
ينحدرون كالسُّيولِ نحونا
ما أكثر الرومَ وما أقلّنا

الثانى : ما أقل الروم يا هذا ، وما
أكثر اليوم جنود المسلمين
تكثر الجند وإن قلَّت بما
أحرزت فى الحرب من نصرٍ مبين
وتقل الجند بالجبن وإن
كَثُرَت

الأول : انظر

الثانى : هو النصر المبين
فرق الروم على الشطّ وقد
كاد أن ينهار بالمُقتَتلين
ضفة اليرموك أضحت ساحها
عبرة فى الحرب للمعتبرين
كلما أقبل منهم فيلقٌ
ثار فى أوجهه منا كمين
وأرى الشط غدا هاويةً
وإلى النهر ظهور المشركين

هاهمْ . انظر . تهاووا . هلكوا

سقطوا فى النهر جمعاً موثقين

إنها الأغلالُ فى أعناقهم

من هوي منهم هوى بالآخرين

الأول : لِمَ غلوهم بها ؟

الثانى : قد علموا

أنها الحتفُ بأيدى المؤمنين

أضمر الروم فراراً فانبرى

قائد شدَّ وثاق المُضمرين !

الأول : سوف نمضى للذى جئنا له

الثانى : بل تمهَّل ، سوف نمضى بعد حين

راكبٌ أقبل يسعى نحونا !

« يدخل ابن زنيم رسول عمر . »

ابن زنيم : يا أخا الإسلام ، يا حزب اليمين !

الجندى الأول مَنْ ؟

« الثانى: بريدٌ من المدينة آتٍ

« الأول ليت شعرى ماذا وراء البريد؟

ابن زنيم : السلامُ السلامُ

الأول والثانى ابْنُ زُنَيمٍ ؟

ابن زنيم : هو من تشهدان

الأول : هل من جديد ؟

الثانى : كيف حالُ المدينة اليوم؟

ابن زنيم : خيرٌ

الأول : وأبو بكر ؟

ابن زنيم : فى العُلى والسعودِ

ماله وَيحُهُ بذاك ؟

الأول سمعنا عنهُ . قل لى أليس بالمَوْرودِ ؟[1]

ابن زنيم : لا !

الثانى : وكيف الأخبارُ والدَّارُ ؟

ابن زنيم : امْدِدتُمْ بجيشٍ على الطريق مديدِ

أبشروا إن نصركم لقريبٌ ليس فى حاجةٍ إلى مجهودِ

من على الجندِ ؟ لى إليه حديثٌ

الثانى : قائد الجند خالدُ بنُ الوليدِ

الأول : إنه فى القتال فاخلُص إليه

ابن زنيم : ها هو الليثُ مقبلا من بعيدِ

« يدخل خالد ، ويخرج الجنديان . . . . »

خالد : ماذا وراءك ؟ ما الخبر ؟

ابن زنيم : سِرٌّ إليــــك

خالد : وأىُّ سِرْ ؟

ابن زنيم : طولُ البقاء لكم

خالد : بِمَنْ عزَّيتَنى ؟ بَيِّن . أجِرْ

ابن زنيم : بخليفةِ الدنيـــا أبى بكرٍ ، فقد شرع السفر

خالد : هو خيرُنا بعد الرسول ، وإنه خيرُ البشر

---

(١) المريض الذى يعانى الحمى

الله يرحمـــــه ويغفــرُ ذنبَـه ، ولقد غفر
ومن الخليفةُ بعده ؟

ابن زنيم : الأمرُ فى يُمنى عمَرْ
هـذا الكتابُ كتابه أخفيتُهُ عمَّنْ حضَرْ

خالد : أعلمْتهم موتَ الخليـفةِ ؟

ابن زنيم : لا ، تكتَّمتُ الخبر
أخبرتهُمْ بســلامةٍ وبجيش أمدادٍ حضَرْ

خالد : أحسنت يا هذا فقف هات الكتاب المُستَطرْ
إنى أخاف إذا أنا أظهرتُهُ أن ينتشِرْ
ولقد يكون حوى من الأنبــاءِ ما يُرْضى عمَرْ !
والحربُ دائرة الرحى والنارُ مضرمةُ السُّعُر
الحق عنـــدك يا رسو لُ فلا تُذع هذا الخبرْ
هات الكتاب وما حَوَى ومن العيون خذ الحذر
سيكون طىّ كنانتى حتى يتمَّ لنا الظفر

ابن زنيم : سمعاً أمير . . « يخرج ابن زنيم . يدخل أبو عبيدة . . »

خالد : أبو عبيــدة !

أبو عبيدة: هَيَّ عجّلْ ما الخبَرْ؟

خالد : اسمــع إلىَّ أبا عبيــدةَ نحنُ فى كفّ القدر
الأمرُ أخطر ما يكو نُ !

أبو عبيدة: وسوف نَصمُدُ للخطر

خالد : إن الخليفة قد قضى

أبو عبيدة: حقاً ؟

خالد : وأعقبَهُ عمَرْ !

اسمع إليّ أبا عبيدةَ ليس وقتٌ للجَدَلْ

هذا كتابٌ من أمير المؤمنين لنَا وصَلْ

ولقد خشيتُ أفضّه والحربُ مُضرمَةُ الشّعَل

فرأيتَ من حُسن الصوا بِ ومن مجانبةِ الخَطلْ

أن نجمع القوّاد من بعد الفراغِ منَ العمَل

فنفُضّه فيهم فنقـرأهُ عليهم فى مَهلْ

أرأيتَ أنى قد أصَبْتُ ؟

أبو عبيدة: أميرنا حسناً فعَلْ

احفظه حتى ننتهى ولسوف أخفى ما حصَلْ

« يدخل جماعة من الروم فى وسطهم جرجى بن توذر . ومن الناحية المقابلة يدخل جماعة من المسلمين . . . . »

جرجى : خالدٌ ، أين خالدٌ

خالد : مَنْ مُنادِ ؟

جرجى : أنا جرجى بن توذر ، أنا أدعو

خالد : قُمْ مكانى أبا عبيدةَ فانظر لا يكونَنّ فى صفوفك صدعُ

سأرى ما يُريده مِنىَ الرّو مىُّ والسيف فى يدى فيه رَدْع

هأنا قد خرجت . فاخرج إذاً جرجى فما فى لقائنا اليوم خدع

جرجى : أغمد السيف !

خالد : (ويغمد سيفه) ما تشاءُ !

جرجى : كريمٌ من كرامٍ ، وليس فى ذاك بدْعُ

خالدُ ، أصدِقْنى ولا تنحرف للكذْب ، إن الحرّ لا يكذبُ

ولا تخادعني فأنت امرؤٌ عندي كريمٌ وُدُّه يخطبُ
هل أنزل الله على أحمدٍ نبيِّكم سيفاً به يضرب
من السموات هوًى مصلتاً كأنه بارقُها الخُلَّب
قبضتُه العزمُ وفي حَدِّهِ نارُ اللظى والرجم والكوكبُ
نبيُّكم في الحربِ أعطاكه فأنتَ ذاكَ البطلُ المعجَب
لم تلقَ من شاكي سلاحٍ بهِ إلا أتاك النصرُ، لا تُغْلَبُ؟

خالد : ليس كما قلتَ

جرجي : ففيم إذا سمِّيت سيف الله إذ تُنْدَبُ؟

خالد : اسمع إذاً جرجي

جرجي : تكلم، أبِنْ قد نال مني العجبُ الأعجبُ

خالد : إن رسول الله قد جاءنا بالحق، وهو الأطهرُ الأطيبُ
أرسله الله فأصغى له قومٌ وقومٌ بالهدى كذَّبوا
وكنتُ فيهم، لم نصدِّق به إذ نحن عن أحسابنا نغضَبُ
حاربته فيمن رأوا حربه فنلتُ نصراً، وهمُ خُيَّبُ
ثم هداني الله من بعدها وصحّ مني الرأيُ والمذهب
آزرتُه بالسيفِ حتى جرى في مِسْمعي منطقُهُ الأعذب
: لأنت سيف الله قد سلَّهُ حوائطُ الشركِ به تُنكب
فذاك ما سمِّيتُ يوم الوغى سيفاً، وهذا سيفيَ المرْعِب!

جرجي : صدقتني خالدُ قولاً، فهل أخبرتني بالدين ما يطلب؟

خالد : تشهد بالله، وما قد أتى به النبيُّ القُدُسُ الطاهر

وذاك إقرارٌ

جرجى : فمن لم يُجب ؟

خالد : فجزيةٌ يدفعها الصاغرُ

ونمنعُ المُعطِى بأسيافنا

جرجى : فإن أَبَى ؟

خالد : فهو إذاً كافر

نؤذنه بالحرب لوّاحةً وإنه فيها هو الخاسِر

جرجى : فكيف من يدخُلُ فى عهدكم؟

خالد : منزلةٌ يعرفها الصابر

وهو يساوينا كما يستوى أوّلُنا فى ذاك والآخرُ

بل إنه يفضُلنا رتبةً فى الأجر والله هو الآجر

جرجى : يفضُلكم؟ كيف يُسوَّى بكم وقد سبقتم ؟

خالد : سببٌ ظاهر

نحن قبلنا الدين عن رؤيةٍ نبيُّنا ما بيننا حاضر

يشهدُنا الآيات أو يقرؤُ التنزيلَ فالسامعُ والناظر

وأنتمُ يؤمنُ ذو نيّةٍ منكم وذاك الفائز الظافر

جرجى : بالله يا خالد قد صدقتنى ولم تألفنى ولا خدعتنى

وجئتَ بالقول الصُّراح البيِّنِ

خالد : بالله إنى قد صدقتُكَ فى البيان ولا محبّة

مابى إليك ، ولا إلى أن تستجيبَ إلىّ رغبه

فا لله صاحب ما سألتَ ، له البدايةُ والمغبّه

جرجي : صدقتنى ، واللهِ قد صدقتنى وبالبيان الحق قد ملكتنى
وعندك التعليم لو علّمتنى

خالد : ما دام ذاك فَمِلْ بنا تلقَ الهدايةَ

جرجي : أين ؟ أين ؟

خالد : هذا هو المسطاطُ . مِلْ حتى تُصَلِّيَ ركعتين

(يخرج خالد وجرجي ...)

الرومي الأول : راحَ فى هَرْجٍ ومَرْجٍ

« الثانى : أفلحتْ خُدْعةُ جُرْجِي

الرومي الثالث : أتُراه ذا دهاءٍ ؟

« الثانى : راح فى شُبْهَةِ ماءٍ

« الأول : اهجموا بنا قتِّلوا العربْ

« الثانى : تلك جُرأةٌ منهمُ عجبْ

« الثالث : أدِّبوهمُ أحسنَ الأدب

« الأول : اهجم وهاتِ السِّلْسِلة شرُّ الزحوفِ مُقبله

« الثانى : لِمْ قيَّدونا هكذا ؟

« الثالث : تلك لَعَمْرِى مهزَله
لست أرى القُيودَ إلا اللُّجُم المعطِّلة

أحد المسلمين : لقيتُ رسول الله فى كل موطن وآتى أفِرُّ اليوم؟ بئس إذاً فعلى
أنا لله مُشايِع مَن على الموت يُبايع ؟

المسلمون : نحن أبطال الوقايع نحن أبطال الوقايع

(يلتحم المسلمون والروم ويخرجون وهم يتقاتلون . تتغير الإضاءة

بحيث يصبح الوقت عند الغروب . يدخل خالد وأبو عبيدة وعمرو ويزيد وبعض الجنود من المسلمين . . . .)

أبو عبيدة : (مصافحاً) هنيئاً لك يا خالد

يزيد : (مصافحاً) كذا فليكن القائد

خالد : (مصافحاً) بل الفضل لكم دوني

عمرو : (مصافحاً) هنيئاً لك يا خالد

(يدخل أربعة جنود يحملون شهيدين . . . .)

خالد : مَن ذاك ؟

الجندي الأول : عمرو الفتى

خالد : ومَنْ ؟

الجندي الثاني : أبوه عكرمه

أبو عبيدة : ذاك الذى أبلى . وخاض اليوم بأس الملحمه

يزيد : إنا شهدناه ضحى اليوم على المقدّمه
وهو الذى قد أنشب القتال

عمرو : لا . بلْ أضرمَهْ

الجندي الأول : يا ويح للابن قضى فى الحرب جانب الأب
واستَشهدَ الشبلُ مع الليثِ

الجندي الثاني : ألا ، لا تعجب
لمثل ذاك فليكن سعيُ عزيزِ المطْلَب

(يجثم خالد ويتعهد الشهيدين . . . .)

خالد : يابئس ما قد زعم ابن الحنتمه أزمان صلْنا بالسيوف المسلمه
يوم لقاء الخيل من مُسيلمه فليشهد اليوم جلاد عكرمه

وكيف أبلى وابنه فى الملحمه وكذَّبا الزاعمَ فيما زعمه
بل زعم الزاعمُ أنّا نقعد وفى وطيس الحرب لانستأسد
وأننا فى الحرب لا نُستَشهَدُ !

(يدخل جنديان يحملان جرجى . . . .)

من ذاك ؟

الجندى الثالث جرجى

خالد : هل قضى ؟

الجندى الثالث مستشهداً

خالد : ما أكرمَهْ !

فى الصبح صلىَّ ركعتيـــنِ معى وكنت مُعلِّمه
ما كاد يفـــرَغُ منهما حتى اعـــترتْهُ دمدمه
فانقضَّ صاعقـــةً على أعدائنا فى الملحمـــه
كُـتبَتْ له الحسناتُ فى صُحُف تُصَانُ مكرَّمه
فلنسأل المولَى الكريـ ـمَ له الرضى والمرْحَمَه !

الجندى الثالث وأحـــتُهُ يا أمـــيرى

خالد : وأين ؟

الجندى الثالث بين الســـبايا

خالد : وأين هُنَّ ؟

الجندى الثالث وراء الرجـــالِ ، هُنَّ الضَّحايا !

خالد : ردُّوا عليهـــا جميعاً داراً وأهـــلاً ومالا
فمـــا رأيتُ فتـــاةً للروم أعلى مثـــالا

وهيئوا لى مكاناً أقسم الأنفالا

(يخرج الجنود يحملون الشهداء . . . .)

هذى الفتاة أتتنى فى ساعة الأسحار
ودافعت عن أخيها بجُرأةٍ ، واقتدار
وقالت احقن دماهُ ولم يكن باختيارى !
وعندما أظهرت لى عواطفَ الأحرارِ
رأيتُ فى الروم أنثى من نُبلها فى خمار
فاقت نساءَ قريش ويعربٍ ، ونزار

عمرو : أميرى ، ذكرت صغيرَ الشئون
ولكن نسيت الجليلَ الخطير

خالد : وما هو ؟ لو كنتَ ذكّرتنى
فماذا عليك ؟

عمرو : كتابُ الأمير ؟

خالد : أجلْ عُمَرُ :

عمرو : كنتَ أنسيتَهُ لوقتٍ

خالد : ولكن لوقتٍ قصير
بربك ياعمرو لو قلتَ لى وداهيةُ العُربِ أنتَ الكبير
كتابُ الأميرِ تسلمْتُهُ وأخفيتُهُ

عمرو : فى حنايا الضمير !

خالد : فكيف عرفتَ ؟ أأنبأتهُ ؟ (لأبى عبيدة)

أبو عبيدة: وحقكَ ماخُنتُ عهدالأمير

عمرو : أبو عبيدة يا ابن الوليد ربُّ الإماره
قد نالها من ضحى اليوم حكمة وجداره
وإنما أنتَ تحتَ اللواءِ جندىٌّ غاره
لا تعترض . لا تخادع محاولا إنكاره . .

خالد : قد قلتمُ كل يومٍ يكون منكم أميرُ
واليومَ ما زال يومى

زيد : أجَل

أبو عبيدة: وأنتَ جدير

عمرو : أراكمُ قد جهلتم والجهل شرٌّ خطيرُ
مررتُ بابن زنيمٍ والدائراتُ تدورُ
وقد تكاثرت الرومُ فهو فيهم أسيرُ
سللتُ سيفى ففرَّقتهم . وسيفى مُبيرُ
وقلت يا ابن زُنَيمٍ فضلى عليك كبير
ماذا حملتَ إلينا وأنت نعم السفيرُ ؟
فقال لى كلَّ شىء أنا العليمُ الخبيرُ !

خالد : جئنا بعلمك هذا

عمرو : وأنت فاتلُ الرِّساله
فإن عزلكَ فيها (خالد يفض الرسالة وينظر إليها)

أبو عبيدة: سمعتُ شرَّ مقاله

يزيد : بئس الجزاء

عمرو : تدارك وارفع إليه استقالة

أبو عبيدة: أمير !

خالد : لست أميراً ها قد شهدت فعاله

ولم أكن بعد هذا مخالطاً عماله

غداً نرى كيف يختار جنده ورجاله

أما الخطوب فكأس شربتها للثماله

(يخرج خالد ، ويتبعه الآخرون . . . .)

« ستار »

الفصل الرابع

المنظر الأول

« ستار فى وسط المسرح يخفى القسم الداخلى منه . القسم الخارجى يمثل بهواً فى دار الإمارة بحمص . أبو عبيده ، ويزيد ، وعمرو ، وبلال جلوس . . »

أبو عبيده : اليوم زارَ حِمَصانا بلالُ

يزيد وعمرو : أهلاً بلالُ

بلال : أهلا وسهلا

يزيد : إمامُ الأذان

عمرو : سحرٌ حلالُ

أبو عبيده : من لى بيوم مثل أيّام الرسول الخيِّره
أيامنا الغرّاء بالمدينةِ المُنوّرَه
إذا الصلاةُ احتشدت لها الرجالُ بَرَرَه
ثم اعتلى فيهم رخيمُ النبراتِ منبره
يُرسل موسيقى الأذان حُلْوةً مُعَبِّرَه
فلم يغادر مُرْهَفَ الاسماع إلاّ سَحَرَه
ولا فتىً إلا وَبَلَّ بالدُّموع مِئْزَرَه

بلال : العفو !

عمرو : لو أخْبَرْتَنا كيف المدينة يا بلال ؟

بلال : تمضى الحيــــاة على ســــجيَّتها . وينتقلُ الرجال
تأتى الصــــلاة فيهرعـــون إلى محاريب الجلال
فإذا انقضت نشطوا ورا ء الرزق والكسب الحلال
عمرو : كيف الأميرُ بها ؟
بلال : أميرُ المؤمنين بخير حال
متتبِّعٌ أخبـــــاركم فى السلم منها والقتــــال
أحصـــاكمُ عددًا. فمن هو عامل ومن استقال
عمرو : ومن استقال ؟
أبوعبيدة : وهل عنيـــت ابن الوليد ؟
بلال : عنيته
من لم يُكرِّمْ نفسه سلب المكارم بيتــــه
أبوعبيدة : بَيْتُه ؟
يزيد : مَنْ ؟
بلال : كل ما كان له من صنيع ضيَّعته النزوات
وامحى من سوء ماقدَّمه سابق الفضل وماضى الحسنات
هكذا من دانت الدنيا لهُ فأساء الفعل يلقى الحسرات
أبوعبيدة : كيف هذا ؟
يزيد : أى فعل خاطىء قدجناه وهو رب المكرمات؟
أبوعبيدة : أى فعل خاطىء مهما يكن أمره يسلب مجد الغزوات ؟
بلال : فعله فى مالكم ، إثراؤه من وراء الفتح
أبوعبيدة : تلك الشبهات !

بلال : منحه الأشعث من أمواله عشرة الآلاف

يزيد : هبها عشرات
كيف من قد فتح الدنيا لكم يحرم الأنفال ؟ يا للغدرات!

عمرو : ماهى القصة ؟ وضحها لنا

أبوعبيدة : دعك ياعمرو ونتف الفروات!
قد عرفنا ما الذى أضمرته أبذاك الليث تبغى الوقعات؟

يزيد : عجباً لما أنا سامع عجبا لما أنا منك شاهد
عمرو انتظر ، ما أنت فى هذى المواقف والمشاهد
ليس العجيبة أن تريد بخالدٍ إحدى المكائد
لكنّ أعجب منك صنع بلالَ بالبطل المجاهد
أمسى الدجى يهجو الضحى وبلال ينتف فرو خالد

بلال : لا يا أمير ، فما الصباح من المساء بأفضل
ذهب امتياز الجاهلية فى الزمان الأول
وتقدم المولى بمأثور الصلاح على الولى
الفضل للتقوى وليس الفضل للتموّل
لا بالوجوه وحسنها بل بالفَعال الأمثل
تلك السبيل فإن أردت سبيل ربك فافعل

أبوعبيدة : أحسنت جداً يا بلالُ : فأى شىء تقصد ؟

بلال : عمرٌ ، أمير المؤمنين يريد ، وهو السيد

عمرو : ماذا يريد بخالدٍ ؟

بلال : يؤتى به فيقيَّد
وتقام محكمةٌ له

عمرو : ويطوف جندٌ رصَّد

أبوعبيدة: ما التهمة النكراء ؟

يزيد : قلْ

بلال : خُلقٌ وحقك أنكدُ
وخفيَّةٌ ظهرت ، وسرٌّ اليوم يكشفه الغدُ
وعطيَّةٌ للسائلين ببحرها سخت اليد
بالمال يبتاع النفوس َ ، ومن أبى يتوعد
فكأنه للناس دون الله ربٌّ يعبد
من أين ذلك ؟ من متى هذا العطا والمحتد ؟
أو يستذلّ المسلمينَ به ولم يستعبدوا ؟
فليعلمنّ فإنما شَرَعَ السوية أحمد
وإذا طغى ليؤدبنَّ الحرَّ عبدٌ أسود

أبو عبيدة: أأنت إلينا رسول الأمير؟

بلال : (يناوله كتاباً) أجل يا أمير،وهذا الكتاب
تفضَّلْ

أبو عبيدة: (يتناوله) أجلْ

عمرو : فضَّه

بلال : اتْله ففيه البيان وفصل الخطاب

(يتلو أبو عبيدة الكتاب ، بينما يميل بعضهم إلى بعض ويتهامسون)

أبو عبيدة: دائماً خالدٌ، دائماً ذلك المغـوار يُعنى به الأمير ويسألُ
قد غدا شغله، وكل أميرٍ بجليلٍ من الحوادثِ يُشغل
كيف تلقى يدى قلنسوةَ المغـوار عنه، وبالعمامة يُعقل!
كيف آتى به على أعينِ النا سِ يسيرِ الونى كسيرِ المكبّل
كيف ياقوم عن أمارةِ قِنَّسْـرين من دوّخ الممالك يُعزَل
هو فى الحق قائد الجند فى كلِّ عراكٍ، وهو الأغرُّ المحجل
ما علمنا عليه سوءاً، ولكن هو فى خلقه النبيل المؤصل

بلال: متى إذاً يكون يا أمير عقـد المحكمه؟

أبو عبيدة: يكون عقدها غداً إذ الشهـود معلِمه
وسوف تعطـى للدفا ع فرصٌ منظمـه

بلال: إذاً لقاؤنا غـداً

عمرو: لقـاؤنا فى المحكمه!

أبو عبيدة: «ليزيد» يزيد هيا فعنـدى جـلائل الأخبـار
همْ أرغمونى على أن أذِله بالأسـار
ولن أفرِّط فيـه قـلامة الأظفـار
فإنـه لوزيرى وإنه مستشـارى

«يخرج أبو عبيدة ويزيد . . . .»

عمرو: لقـد وجدتُ بغيـتى بلالُ، أنتَ بغيـتى!
أتبتغـى إذلالهُ مثلى، وترضى صحبتى؟

بلال: سـأخسف الأرضَ به إن لم يجبنى بالتى . .

عمرو: إذاً تعال فاسـتمع كـيف تكون حيلـتى
لقـد رسمتُ خطة فهـل عرفت خطتى؟

بلال : ما تلك ؟

عمرو : إن كان غدٌ وتمّ عقد المؤتمر
وجاءنا متهماً بين الجنود والخفر
تندبنى لكلمة تلقى به إلى سقر
أقولها على لسان عمرٍ

بلال : أجل ، عمر !
على لسانه ؟

عمرو : أجلْ

بلال : ماهى ؟ قول ذو خطر ؟

عمرو : لا لا ، غداً تعرفه بلالُ فاكتم الخبر !

« يخرجان . . . . . . »

المنظر الثانى

« يرتفع الستار المتوسط فتظهر قاعة المحكمة . أبو عبيدة ويزيد وعمرو وبلال ، وحولهم جنود وأتباع . يدخل رسول . . . . »

أبوعبيدة : هذا رسول جاءكم بعد سفار مجهد
علا الغبارُ وجهه حتى غدا كالأربد

الرسول : لك السلامُ يا أميرُ من كريم المحتد

أبوعبيدة : سلمت ، ممن ؟

الرسول : من أمير المؤمنين سيّدى

أبوعبيده : من عمر ؟

الرسول: أجل ، من الفـــاروق ، خذه من يدى

أبوعبيدة: هات الكتاب ولك الخيـــارُ ، قم أو ابعـــد

« يطيل أبو عبيدة النظر فى الكتاب ، ثم تسمع أصوات قادمين . . . »

من ذاك ؟ خالدٌ ؟

بلال مشرئبا: أجل أمــــــير ، إنه هوَه !

عمرو : اعقِلْهُ يا بلالُ وانـــزع هـــذه القَلَنْسوَه
واجعل يديه حـــذر البـــأس وراء التَّرقُوَه

« ينهض بلال مستقبلا القادمين . . . . . . »

أبوعبيدة: ياليت شـــعرى ماالمقا لُ ، ليت شعرى ما العمل
الأمرُ أمرُ عمــــر إذا أقرَّ أو عـــزل
وإنما ضمــــيرُهُ يســـــأله عما فعل
لأجعلن الصمت لى درعاً لدى الأمر الجلل
ولأسمعن ما يقــــو ل اليوم ذلك البطل !

« يدخل خالد أسيرا وحوله جنود وحراس . . . . »

خالد : لمن الحشد ياترى حوله اليو مَ ؟ سلام أبا عبيدة !

أبوعبيدة: مرحب !

خالد : إننى أشهد اجتماعا عظيما وأرى أوجه الرجال تقطب
وأرى آل حمص بعد سماح وابتسام ما منهم غير مغضب
علَّ أمراً أصاب علَّ أميراً من بنى الروم بالبلاد سيشغب
ذاك سيفى فى حوزتى يابنى حمص كما كان ، فهو ماض مشطب
ولقد طال بالجواد جمـــام ياأميرى ، وطال بى فادع أركب!

الرسول « بعد فترة صمت »

خالد يا أمير قِنَّسْرينا إنا نراك صادقا أمينا

فقل مقالا حسناً مبينا

أنت أجزت الأشعث بن قيس إجازة ليست بذات لبس

عشرة آلاف قروص شمس

من أين ذاك المال والإثابه وأنت من يصدق فى الإجابه

من خالص المال أم الإصابه ؟ !

خالد ثائرا : رأيت أمراً عجيبـــا من أنت حتى أجيبا ؟

أبو عبيدة : صه يا رسول العـرب

يزيد : إلزم حـــدود الأدب

بلال ثائرا : خالد !

خالد : ماذا يابلال !

بلال : معى لأسألك

إن أمـــير المؤمنين غير راض عملك

وقد أمـــرنا فيك أمـــراً عله قد وصلك

خالد : لا ، لم يصلنى

بلال : إنه يأمرنا أن نعـزلك

انزع لبـــاس الرأس من كسرى شعار من مَلك

وأعطنى عمـــامة الديبـــاج حـــتى أعقِلَك

سوف أريك اليوم ذا تَ الموت فافقد أملَك

والآن قل لنا . أجب بالحـــق تبلـــغ منزلك

تلك الإجازة التى أجزتَ من قد سألك
عشرة آلاف كأقراص الشموس فى الفلك
مالُك أم إصابة ؟

خالد : بل هو مالى

بلال : ليس لك !

خالد : ماذا تريدُ ؟

بلال : أريد اقتسامَ مالكَ أجمعْ !

عمرو : أمرُ الأمير صريحٌ له نطيعُ ونسمع

يزيد : دافع لنفسك يا ابن الوليدِ واشفع تُشفّع

خالد : ياقوم ، لم أفهم ، بلالٌ ثائرٌ وأبو عبيدة صامتٌ لا ينطق
وبريد راحلة يطاولُ قائداً فالجمع يحجم ، والعيون تحدّق
ماذا جرى ؟

عمرو : سل أنت نفسك إنها أدرى بذاك وفى جوابك أصدق

خالد : ما الأمر ؟

أبو عبيدة : قد بعث الأمير بأمره لتجيئهُ ، والآن نحنُ نحقّق

خالد : ماذا جنيتُ ؟ وعمَّ أسأل ؟ أوضحوا

أبو عبيدة: أصبحتَ تُعطى من تشاء وتُغدق
والمال مالُ المسلمين

خالد : ومن يقل ماقلتَ يعوزهُ الحجى والمنطق

أبو عبيدة: من أين ذاك المال ؟ نبئنا به يا ابن الوليد ، ولن تُحير جوابا
أصبحت فى القواد أمنع جانباً وأعزّ سلطاناً ، وأمنع غابا

	وسطوت كالأسد المدل بيأسه	ملأ النفوس زئيره إرهاباً
	لو كان فى الله الجهاد رضيته	لكن فتحت به لمجدك بابا
	وجمعت مال المسلمين لخزنةٍ	لتجرَّ من خيلائك الجلبابا
	أتريد يا ابن أبى المغيرة رفعة	لتذلّ فيها المسلمين رقابا
	ثكلتك أمك !	
خالد :	بل أراك ظلمتنى	وتبعت ظناً فى الرجال كذاباً
	المالُ والأنفال ذلك مغنمى	والدينُ يُسهمُ للرجال نصابا
أبو عبيدة:	تلك القصور جعلتها لك مغنما؟	حقق ، فإنك لا تقول صوابا
خالد :	مالٌ بمقدار الفتوح . ألا ترى	كيف البلاد تفتحت أبوابا
	الله قد جعل الفتوح على يدى	وبصارمى قد سبب الأسبابا
	وأنا حملتُ لبيت مالك جزية	فاضت عليه لجَّة وعُبابا
أبو عبيدة:	هو بيتُ مال المسلمين فلا تقلْ	بيتى ، فلست لأمركم غصَّابا
	إنا على عهد الأمانة قومٌ	راعون نرقب فى النشور حسابا
خالد :	بلغ أمير المؤمنين بأننى	مازلتُ سيف المسلمين ضِرابا
	عمرٌ رمانى دون ذنب واضح	وأنا أردُّ له العقاب عتابا
بلال :	والآن يا قوم اسمعوا	عمْراً ، فعنده الخبر
	وإنه مبلغكم	رسالة ذات خطر
	عظيمة ، جليلة	كافه بها عمر
	لم يرض أن يبوح لى	بها ، وآثر الحذر
عمرو :	نعم ، ولو أجابنى	خالدُ أو [illegible] تكرّما
	ضمنتُ صفح عمر	عنه [illegible]

على يَدى يــــتمّ صُـــلحُ الدهر ما بينهـما !

أبو عبيدة : وكيف ؟

يزيد : قل ياعمــــرو

بلال : أنـــت اليوم صرتَ الحَـكما

عمرو لخالد : عمرٌ واجدٌ عليك . قديمٌ وجدهُ منذ وقعة ابن نُويره

ليس حقداً عليك ، لكنه الظـــلمُ عن المسلمين يرفع نيره

أنت جدلتَ مالـكا بحسامٍ نزقاً منك فى الشباب وغيره

وتزوجتَ زوجهُ ، وتبنيـــت بنيه، وذقت فى الدار خيره

فسعى ابن الخطاب عند أبى بكـــر ، فقال الأخير أحمد سيره

فأسرّ الأمير ذلك حتى أصبح الأمر فى الخلافة أمره

ولقد قال لى : إذا جاءنى خا لد يدلى بالعذر أقبل عذره

فاعترف فهى الاعتراف لترضى طالما ذقت من ظلام وحيره

ما طريق الخلاص إلا بهذا فامض فيه، فلا أرى لك غيره !

« تحدث ضجة وجلبة وتهامس . . . . . . »

أحد الحاضرين (لصاحبه) :

ما ترى يا أخى ؟

الثانى : رأيت عجيباً عمرٌ قدرمى على المرء عمرَه !

خالد لعمرو : أترانى إذا اعترفت ألاقى كل ما أبتغيه عند الأمير ؟

عمرو : كل ما تبتغيه . عفوٌ وقربٌ ولواءٌ فى الجيش يوم المسير

خالد : لست أدرى فربما كان فخاً وقيوداً جديدة للأسير ؟

يزيد : كيف ؟

عمرو : هذا قول الأمير فصدّق واعترف تنقلب بخير وفير

خالد : عمرو ، أرى قضيّة عادلة ، وظالمه !
عادلة لأنها لطيفةٌ مسالمه
ظالمة لأنها اليوم لظهري قاصمه
تبتزُّ الاعترافَ وهي بالنقيضِ عالمه
هل مهلةٌ ، فأستشير ؟

أبو عبيدة: للغداةِ القادمه !

خالد : للغدِ !

عمرو (ضاحكا): حتى تسألَ ابنةَ الوليد فاطمه ؟!

بلال : سل ما تشاء ، سَلْ ، ولكن قبل ذاك فافهمِ
لديك مالٌ حُزْتَهُ قبل اقتسام المغنمِ
وإن فيما نلته حقا لكلّ مسلمِ
وإنني سأنطق الآن بحكمٍ مُلزمِ

عمرو : حكم الأمير ليس بالظلمِ ولا التحكمِ

بلال : من الثمانين التي قد ادّخرتَ فاعلمِ
لنا عليك النصف : أربعون ألفَ درهمِ
إن أنت لم تردُّها تُلق بها في الأدهمِ
والأدهمُ القيد . وقد جئتُ بحكمٍ مبرمِ
عجّلْ ، أجب

عمرو : أعطِ أمير المؤمنين تسلمِ

خالد : ما كنت من يعصى له أمراً وإن لم يرحمِ

بلال : خذوا عليه موثقاً بقوله المحتمِ

خالد : والله لست مجملاً فيما اصطنعت من أدب
أغروك بي ، فهكذا غداً ستحكم العرب
بلال : أمر الأمير لم يكن قرّره بلا سبب
نقتسم المالَ فقف ولا تحاول الهرب
السيف ناولنيه ، ها تِ ، والعمامة القصب
خالد : والثوب ؟
بلال : شقّ نصفه
أبو عبيدة: أرهقهُ حتى تعِبْ
خالد : والنعل ؟ لم يبق سوى نَعليَّ فاقتسم تُصِب
بلال : ذلك ما نبغي ، فهيّا هب لنا ولا تهب[1]
لنا عليكَ فردةٌ !
خالد : خذها ، وبالأخرى أثب
بلال : ثِبْ ما تشاءُ ، لا نبا لي ما رجعنا بالسَّلَبْ
ليس قليلاً فردةٌ من مِثْل نعلك الذَّهب !
(يخرج بلال يحمل الأسلاب ، يتبعه الحاضرون . . .)

« ستار »

---

(١) لا تخف .

الفصل الخامس

المنظر الأول

« القسم الداخلى من المسرح يمثل غرفة فى دار خالد بحمص . بسيطة الأثاث . بها فراش للنوم وقليل من المقاعد . والقسم الخارجى يمثل الطريق خارج الدار . خالد يجلس متهالكا على فراش النوم يناجى نفسه . . . . »

خالد : بالله إلاّ قلتَ ما بينى وبينك يا عمرْ
قد كنتُ سيفَ المسلمينَ فدستَهُ حتى كُسِرْ
لولا أبو بكرٍ لكنتُ حرمتُ آياتِ الظفرْ
أبليت فى الإسلام ما لم يُبْلِ قادات أخَرْ
واليوم قد أغريت بى ابن العاص ، أمكر من مكرْ
وبلالُ جرّدنى ، فخِـتى بالثياب لقد ظفرْ
أرأيت صياداً تُجرِّدُ كفه جلدَ النمر ؟
لكنه ابنُ العاص أرّقنى ، وذوّقنى السَّهرْ
أرعى النجومَ إذا تألَّقَ نورُها وقتَ السَّحَر
ويقول لى قم فاعترف أأنا البرىءُ وأعتذر ؟
اليوم يحلو لى المنَامُ وفيه جفنى ينكسر
ما ذقتُه إلا غِرارًا فى القتال أو السَّفر

« يضطجع فينام . تسمع نغمات موسيقية رائعة ، تتوالى وترتفع ثم يسمع صوت يغنى هذا النشيد . . . . »

النشيد : نم يا أمير الجهادْ وغازىَ الظالمين
دانت جميعُ البلاد لمّا هززت اليمين

* * *

لم يبق برجٌ يُشاد ولا بناءٌ حصين
إلا وأعطى القياد لقائد المؤمنين

* * *

لأنتَ سيفُ الإله ورادعُ المعتدين
موفّقٌ فى الحياه وبعدُ فى الخالدين

« تستمر الموسيقى فترة أخرى . ثم تنتهى ، تدخل زينب ابنة المنهال ، وفاطمة بنت الوليد . . . . »

زينب : مرحباً ألف مرحباً زارنا الغيثُ فاطمُ
فاطمة : مرحباً ، كيف خالدٌ ؟
زينب : وافر الحظِّ سالمُ
فاطمة : هو هذا أخى
زينب : دعى خالداً فهو نائم
فاطمة : نائمٌ نومة الضحى ؟
زينب : كان بالأمس مُتعَبا
سهِرَ الليلَ كلَّهَ وأطال التقلُّبا
فاطمة : ربّما كان شاغلٌ نال منه فأوصبا ؟
زينب : سوف يغفو هنيهة فتعالَىْ لنذهبا

فاطمة : من سيعنى به إذا فارق اليوم زينبا ؟

زينب : إنه عند زينب بجد الأمّ والأب
أقبلى قد أنرتنا

فاطمة : مرحباً

زينب : ألف مرحبا

فاطمة : أراه يستيقظ

خالد (ناهضا) مَنْ ؟ أنتِ هنا يا فاطمة ؟

فاطمة : أهلا وسهلا بأخى

خالد : أبمكانى عالمه ؟

زينب(لنفسها)التقيا ، فلأمضِ ، لا أكن لها مزاحمه ؟
خفيفةُ الظلّ من الزوجات تلك الحازمه

(تخرج زينب . . .)

فاطمة : أرسلتَ لى فما وَنِيتُ

خالد : قد أتيتِ راحمه

فاطمة : أكنت تغفو ؟

خالد : إنها غفوةُ حُمَّى ظالمه !

فاطمة : حمى ؟

خالد : وماذا بعدما أصبحتُ فيه من ضَنَى !
أخشى الوباء !

فاطمة : يصرفُ الله !

خالد : لقد عمَّ الوَرَى

وقـد أحـس أنه لا بد نازل هنـا

مـن لم يمت بطعنة السـيف فطعنة الوبا

فاطمة : وهل وجـدت بثرة في الكف أو في الإصبع ؟

خالد : كلا ، ولكـني أحـس باقتراب الوجـع

فاطمة : وهم !

خالد : بلى لكنه حقيقـة تمشي معي !

فاطم ، يا ابنـة الوليـد

فاطمة : . عين فاطم !

خالد : اسمعي !

وذاك سر فاحفظي عني الحديث واكتمي

لا تخبري من أحـد

فاطمة : بلى ، فقـل ، تكلم

رحم الله أمنا وأبانا وزماناً مضى ، وعيش هناء

أنت ذكرتني بماضي شبابي وبعهد من رحمة وصفاء

خالد : فامنحيني نصيحة هي ذكرى قلب أم يرق للأبناء

فاطمة : ذكريات الشباب؟بل أنت ياخالد ما زلت بالشباب رهينا

لم تزل دون أربعين ربيعا

خالد : وأراني لن أبلغ الأربعينا

فاطمة : خل هذا ، لقد طلبت مجيئي مستشيراً

خالد : أجل علي أشيري

فاطمة : سل أخي

خالد : قدعلمتِ ما كان قبلا من خصام بيني و بين الأمير

فاطمة : عمرٍ ؟

خالد : ذاك ! فاعلمى أنه اليو م سعى فى الوفاق والتعمير

يذهب الوحشة التى أنشأتها بيننا حادثات دهرٍ دهيرِ

وإذا ما فعلت أمنح تاجى ولوائى وعدّتى وقصورى

فاطمة : عجبٌ ماسمعت منك، أيرضى عمرٌ ماتقول ؟

خالد : يَرْضى

فاطمة : عجيب !

ماشروط الوفاق ؟

خالد : شرطٌ وحيدٌ وإذا ما رضيتُ فهو قريب

هو يبغى منى اعتذاراً عن الما ضى ، وأنى على يديه أتوب

واعترافاً بقتل مالك من قبـ ـل ، وفى ذاك غصَّة لاتطيب

غير أنى إذا فعلت سأحظى برضاه ، وذلك المرغوب !

فاطمة :(بعد تفكير)لاتوافق!لاتعترف!

خالد : ولماذا ؟

فاطمة : لم يبلّغنْك ذاك إلا الكذوب

هم يريدون الاعتراف ، فإن تـ

مّ اعتراف فالحدودِ وجوب

وإذا تم الاعتراف فعزلٌ

كيف تمحى بالاعتراف الذنوب؟

خالد : الله أكبر ! أنقذ تنى من الشرِّ جمله

بينته ، فتبينته وقد كنت أبله !
صدقت خدعة عمرو وكدت أتبع قوله
لأنت فاطم روح حباني الله فضله
وعنصر الحب صاغوا من جوهر الحق نبله
الآن أطبع حبا على جبينك . قبله !

« يقبلها . . ينزل الستار المتوسط . . . »

المنظر الثانى

« القسم الخارجى من المسرح وهو يمثل الطريق خارج الدار . يلوح على الستار رسم للبناء من الخارج . سور طويل تقوم فى داخله الأشجار العالية فى وسطها البناء يدخل متمم من ناحية وأبو قتادة من الناحية المقابلة . . . . »

متمم : مصير الحى أن يلقاه يوما أخوهُ ، أليس ذاك أبو قتاده؟
أجل ياعين ، لا لم تكذبينى ولا لم تخطئى حسن الشهادة !

أبو قتاده: ألا يا ويح عينى من أراه ؟ متمم ذاك فى حمص يجوب ؟

متمم : ياقتادة !

الاثنان (ويتعانقان) ألف أهلا وسهلا !

أبو قتاده: أمتع الروح الحبيب

متمم : تعانق خالص الأرواح دهراً

أبو قتادة: أجل فاليوم تعتنق القلوب

متمم : من الصدف الجميلة أن أرانا   تلاقينا على لحبِ الطريق
أبو قتادة: بجانب قصر خالد !
متمم : أى قصر ؟   بل ادخله ترَ الفقر الحقيق
لقد أحصوْا عليه المال يوما   وقالوا خاض فى ذهب دفيق
فما وجدوا له فى الدار شيئاً   سوى عدد القتال أو الرقيق !
أبو قتادة : أراك اليوم قد دافعت عنه   وكنت الأمس تزمع فيه أمرا
وكنت ترى أخاك بلا ارتياب   ضحيته ، فترجو فيه ثأرا
متمم : لقد منع الزكاة أخى ، وإنى   لأربأ أن أقول اليوم هجرا
وكيف أنالُ منه منالَ سوءٍ   ألم ترَ يا أخى عمراً، وعمْراً؟
أبو قتادة: وماذا كان أمرُهما ؟
متمم : أرادا   به سوءاً فما قدَرا عليهِ
ومن فضلٍ له وعظيم قدرٍ   أميرُ المؤمنين سعى إليهِ
فصالحَه، وصافحَه، وجالتْ   دموع ندامةٍ فى مقلتيهِ
أبو قتادة: فى مقلَتىْ من فيهما ؟
متمم : فى مقلَتىْ عمَرٍ
أبو قتادة: غريب !
متمم : أعجبتَ أن يبكى وليـــسَ بكاه بالأمرِ العجيب
هذا الخليفة رغم شـــدَّتهِ لأمَّتهِ حبيبْ
يبدو شديد البُعد فى تعنيفهِ ، وهو القريب
أبو قتادة : وأبو عبيدةَ ؟
متمم : يرحَمُ اللّـــهُ الجميع !
أبو قتادة : وهل أُصيبْ ؟

متمم : قد كان فى طاعونِ عمْـــواسِ له أو فى نصيب
أبو قتادة : ويزيدُ ؟
متمم : جُرِّع كأسَهْ
أبو قتاده: ومُعاذُ ؟
متمم : فى الوطنِ الغريب !
أبو قتاده: عجباً . وعمرٌو ؟
متمم : لا يَزا لُ يقيمُ فى الوادى الخصيب
أبو قتاده: فى مصرَ ؟
متمم : وهى تدِرُّهُ خيراً وتسقيه الحليب ؟
أبو قتادة: دُنيا تخادع أهلها لو كان يفتكرُ اللبيب
متمم : إنى سمعتُ بأن خا لداً اشتكى الوصبَ الوصيب
وبأنهُ بالأمسِ كا نَ أبى معالجة الطبيب
أبو قتاده: هيّا متممُ كى نَعُو دَ أخا المعارك والحروب
الله يشــفى خالداً
متمم : والله أكرمُ مستجيب !

« يخرجان . . . . »

المنظر الثالث

« يرفع الستار المتوسط . غرفة فى الدار . خالد راقداً على الفراش وبجانبه فاطمة وزينب وبريرة . . . . »

زينب : لم ينم ليلتَه ، لم تغتمض عينُه ، ما ذاق طعماً للكرى
ويطيل الصمتَ ، إلا أنهُ كلما اشتدت به الحمّى هذى
يذكر الطاعون فى هذيانهِ

فاطمة : إنما عمْواسُ عهدٌ قد مضى
ما الذى يجعله يذكرُهُ ؟ ليتهُ يذكر شيئاً ذا جَدا

زينب : ليته نام قليلا ، ليتَهُ فيريح الناسَ من هذا العنَا
ليلتى قضَّيتُها ساهرةً لم أذُق نوماً ولم أطعم غِذَا

« يسمع دوى الرعد وهطول الأمطار فى الخارج . . . . »

فاطمة : هذه حمصُ ، حوَانا نزلٌ فى أقاصيها ، وقد جاء الشتا
وأراها ليلةً مفزعةً لم تجىء إلا لإرهاب الورى
عاصفاتُ الريح تدوى هاهنا كزئير الموْت ، إعوال الفَنا
ماالذى قدخبَّأت ْمن حادثٍ جللٍ ؟ مالى تخوَّفتُ غدا ؟
أنصتى !

خالد : « منادياً » زينب !

زينب : سمعاً

خالد : زوجتى !

زينب : سلْ تُجبْ بالروح ياروحى الفدا

خالد : ها هو الموتُ أراهُ مقبلاً ليس لى من رقدةِ اليوم نجَا

زينب : بل تشجعْ، لا تهن، لا تبتئسْ   سوف تصحو وتُعافَى

خالد : لا أرَى

أنا لم أظلم بشيءٍ مالكا   زَوْجكِ الأوَّلَ، لا، ليس أنا

لا، ولم آخذك غصباً، إنما   كان منى الحبُّ إذ منكِ الرضى

هذه فاطمُ !

فاطمة : إنى ها هنـــا منذ حينٍ. لو تناولتَ الدَّوَا

« تقدم له دواء فيرده ويدير وجهه . . . . »

بريرة : كان النبيُّ فى فراشِ موتهِ   فصنعت ميمونةُ له الدَّوا

(على انفراد) ثم سقتهُ وهو فى إغماءةٍ   فلم يُفق، وكان عنه قد نهى

حتى سقى من الدواء كل من   فى البيتِ لم يستثن فى الجمع سوى

أجل، سوى العباس عمه، أجل   لو كان فرداً غيره لمـا نجا

وأمرَتْ ميمونةً فجرَّعتْ   رغم الصيام.. كيف يشرب الدوا؟

خالد : خبّرينى كيف أمسى عامرُ   إنه يا أختُ ولىَّ ومضَى

فاطمة : خلّ هذا الأمر لا تشتغل به

خالد : بل بطاعونٍ خبيثٍ قد قضى

ليتنى قد نلتُ مما نالَهُ   إنه كان بمـا نال دعا

سائلاً حين الوَبا مستعرٌ   لبنى الجرَّاح حظاً فى الوَبا

ومعاذٌ، إنه أدركه   بعدَ أيامٍ ونال المُبتغى

هجعَ القوَّادُ ذادَاتُ الحمى   ما تبقَّى منهمُ إلا أنا

وغداً يجمعنى اللهُ بهم   غفرَ الله ذنوبى، ومحَا

ابنة المنهال !

زينب : روحى، مهجتى   ها أنا قُرْبَكَ، سلنى ماتشا

خالد : وسدّيني ، دثريني ، إنني لإلى غمضة جفنٍ فى ظما
ابنـة المنهالِ !

زينب : مَوْلاىَ !

خالد : ومن تلكَ ؟

بريرة : بريرة !

خالد : مرحباً أهلاً

بريرة : شفاكَ اللهُ يا ليثَ العشيره
وأعاد الله أيامك بالنصر مشيره

خالد : لا أرى ذلك رأياً هى ساعاتى الأخيره
ابنة المنهال

زينب : سمعاً

خالد : انظرى فى الغرُفاتِ
واعرفى ما أنا فيها تارك بعد وفاتى
من سلاحٍ ودروعٍ وخيولٍ صافناتِ
وسيوفٍ كُنَّ فى الهيجاءِ شُهبَ الوَقَعات
كلُّ ما أترك من ذلك من ممتلكاتى
فى سبيل الله مرصودٌ ليوم الملحماتِ
وانظرى أمَّ تميم فى العروض الأخرياتِ
واشهدا ، إنىَ أشهدْ تكما قبل مماتى
إن أعاجَلْ فوصيِّ عمرٌ فى تركاتى

فاطمة : تلك يا خالدُ عند اللهِ أعلى المكرُماتِ

خالد : أفاطمُ ،زينب ، هيّا ، أصيخا إلىّ اسمعا قولةً باقيه

فحاضرتا ميتتى أتما وسيرى من الدارة الفانيه
على ما نطقتُ به تشهدان شهادة ذى ثقـــةٍ غاليه
فإن نسيت ذاك إحداكما تذكّرُ إحداكُمَا الثانية !

« يسمع طرق بالباب ، فتخرج بريرة قليلا ثم تعود . . . . . . »

زينب : مَنْ يا بريرةُ ؟

بريرة : سيّدا نِ ، وصاحبان لسيّدى !

فاطمة : جاءَا يعـــودان الأمـــير

زينب : تريـــثى أنت اقعـــدى
من ذاك ؟ من بالباب ؟

(يدخل متمم وأبو قتادة . .)

أبو قتادة : ذا كَ متممٌ وأبو قتـــاده
سمعاً بوعـــكة خالدٍ فهى الزيارة والعيـــاده

(تعود زينب إلى حيث خالد . . . .)

من هذه ؟

متمم : هى زوجُ ما لِك ! ويحهَا ! زوج الشقيق

ابو قتادة : عجباً لمـــا ألقى الزما نُ عليك من درسٍ عميق

زينب : تفضّـــلا ، تفضّـــلا

خالد : أجل ، علىَّ أقبـــلاَ

متمم وأبو قتادة : يامرحباً أميرُ

خالد : ما رحّبتُ إلا بالبِـــلىَ

متمم وأبو قتاده : لا بل تعيش يا أمـــيرُ

خالد : في السـموات العُلى

(يجلس خالد في فراشه ويضع يدا على كتف متمم والأخرى على كتف أبي قتادة . . .)

ألا من مُبلغٌ عمـراً وصاةَ الموتِ من خالد
بأن الموتَ قد أذهبَ ما القلبُ له واجـد
فلست اليوم بالحامـل للضغن ولا الحاقد
سنلقى الله بعـد المو تِ في فردوسهِ الخالد
بحب في فؤادينـا كأنَّ فؤادَنا واحد
وأن الموتَ أخرانا إليـه كلُّنا عائـد
سيسلك كلُّ مولودٍ سبيل الأم والوالد

(يتناول بيده السيف فيلقي خطابه الأخير . . .)

يا سيف! أنت اليوم كل عزائي — أمضي ويبقى في مضاك مضائي
قد كنت لي قلما يخط صحيفتي — بمداد نورٍ ، لا مداد دماء
ولأنت معجزتي التي كم صاولت — بالحق معجزة اليد البيضاء
لا تنصر الإسلام إلا زمرة — تبلي إذا احتدم القتال بلائي
ولقد طلبت القتل في إبانه — ورحى الطعانِ تدور بالبسلاء
وشهدت من عدد الوقائع كلها — مائة أغير بها على الأعداء
لم تبق في جسدي الوقائع موضعاً — لجديد طعن ، أو مزيد بلاء
ما كان أجمل عند نفسي موقعاً — حين الوغى من ليلة ليلاء
قد بتُّها تحت السما مترسًا — والغيثُ منهمرٌ يهلُّ بماء
حتى نغير مع الصباح على العدا — لننال عند الله خير جزاء
واليوم ألقى الموتَ فوق وسادتي
لم ألقهُ في ساحة الهيجاء

وكذا تموت العير إن ماتت . . فلا

قرَّتْ بنوم . . أعين . . الجبناء !

(يسلم الروح . . . . . .)

أبو قتادة: رحمة الله على ليث الوغى

متمم : رحمة الله علينا أجمعــين

فاطمة : انهـــار برجُ المجد والعلياء وزالت الشمس عن السماء

ونفذت مشيئة القضــاء فى خالد ذى السيف والآراء

والجامع الناس على اللواء والقاهر الباطش بالأعداء

والطاهر القلب من الأهواء من درن الخصام والشحناء

فليبكه شعب على الأرجاء كان له نهـاية الرجاء

ولتنتشر قاصمةُ الأنباء ما بين دانٍ منهــم وناء

اليوم يوم الحزن والبكاء!

أبو قتادة: من مبلغ عمراً وصية سيد حر أزال الموت حقد فؤاده

هذا جهاد النفس أكرم منزلا يوم القيامة من عظيم جهاده

إن يعف عنه فنى سبيل الله أو يفنِ العدو ففى سبيل بلاده

متمم : لو كان من أمة أخرى لسار بها

عليه أوسمة الياقوت والذهب

يختال فى الماس والديباج منتفخاً

أوداجه ويجرُّ الذيل من عجبِ

سحــراً عبارته ، أمراً إشارته

دهراً أمارته فى الخزِّ والقصبِ

لكنه عربىٌّ مسلم فتحت
بسيفه عاصيات المعقل الأشبِ
يموت كالليث فى المنفى بلا صخبِ
ولا صديق . ولا مالٍ ، ولا نشب
فليكرم الله ذكراه ويجعلها
درساً لأمته فى قابل الحقب
وليبق سيرته التاريخ لو وجدت
فيه كسيرة هـذا الفاتح العربى !

« ستار الختام »

تمت بعون الله وحسن توفيقه

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	١٢	ووانزواؤه	وانزوائه
٣٨	١	موقور	موتور
٤٨	٩	بالجرف من ماء وطين	الجملة زائدة خطأ
٧٤	١٩	هنَّ الضحايا	من قول خالد
٩٦	١٣	أبو قتادة	أبا قتادة

كتب المؤلف

صدر :

اليخت الذهبي	ديوان شعر (المجموعة الأولى)	يناير ١٩٣٦
تحية الهجرة	. . . . . .	« ١٩٤٣
خالد بن الوليد	. . . . . .	يونيه ١٩٤٥

تحت الطبع :

الأمين والمأمون	مسرحية شعرية
إيزيس وأوزيريس	ملحمة «
الحمامة البيضاء	« «
الخصلة الذهبية	قصة مترجمة
الذهب فى بوتقة اللهب	نقد
عطر وبارود	ديوان شعر (المجموعة الثانية)
جون كيتس حياته وشعره	أدب
محطم الأصنام	. . . . . .
الشجرة الخضراء	. . . . . .



الثمن ١٥ ص